17 ème Année No. 841 | Lundi — 15 — 8 — 1949

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٤١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ شوال سنة ١٣٦٨ — ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

## أخى عزّام !

قرأت فصولك الأربعة عشر التى كتبتها لقراء الرسالة بقلم المؤمن الصادق والمصلح الحكيم والخبير المجرب والكاتب المفتن، عن هذه الحيرة الاجتماعية التى عوّقت الأمم، وهذا القلق النفسى الذى أشقى الأفراد ؛ فكنت كلما قرأت منها فصلاً نشأت فى خاطرى فكرة، وحفزتنى إلى الكتابة رغبة ؛ فإذا قرأت الفصل الذى يليه ذهبت فكرة وجاءت فكرة، وسكنت رغبة وتحركت رغبة، حتى قرأت (الخاتمة) فوجدتك قد جمعت شتيت الأخطاء والأدواء ثم رددتها إلى مصدر واحد هو ضلال الإنسان، ووصفت لها طبيباً واحداً هو هُدى الله، فلم تدع فى الموضوع فضلة يناقشها أديب، ولا علة يعالجها طبيب.

كلام يشرق فيه الحق وعلاج يهدى إليه العقل، فما كان يجوز أن يختلف فيهما صاحب دين ولا صاحب دنيا، ولا أن يعمى عنهما آهِلُ شرق ولا آهِلُ غرب ؛ ولكن الله لأمر يعلمه شاء أن يجوز العمى على البصير فلا يرى إلا بتنبيه، وأن يجرى الصمم على السميع فلا يسمع إلا بتبليغ !

ولقد كان من بداهة المنطق ومسلّمات الطبع ألاّ تستبد الحيرة والقلق بقوم يأمرهم ربهم بالعدل والإحسان، ويقوم شرعهم على الهدى والفرقان ؛ ولكن المسلمين اليوم قد اتبعوا سبيلاً غير سبيل محمد، واتخذوا دليلاً غير دليل الله ؛ فأصبحوا كسائر الأمم الغربية عباداً للذهب والسلطان والهوى، لا يتبعون غير رجال المال والسياسة بالطمع، ولا يطيعون غير رجال الحكم والحرب بالخوف. أما رجال الفكر ورجال الدين فقد جعلوهم من نوافل الحياة ؛ مكانهم على الهامش لا فى المتن، وميدانهم نوازع الكمال لا دوافع الضرورة ؛ إلا من استغووه منهم فقد استحبَّ عماهم على هداه، وآثر هواهم على عقله.

ورجال الفكر أمثالك يا أخى قوم جعلوا (وظيفتهم) التفكير للناس. فهم ينتجون الفكر كما ينتج أصحاب العمل المال، ورجال السياسة الخداع، وأرباب الحكم الغطرسة ! فما كان أجدرَ بابن آدم وهو لا يزال يتبجح بالعقل ويتميز به على غير أن يجعل قياده لرجال الفكر ! ولكن ابن آدم إنسان وحيوان، فإن استجرَّ بإنسانيته للقلم، فلن يستجرَّ بحيوانيته إلا للعصا !

لقد قرأ الناس ما كتبتَ وأعجبوا بما قرأوا. ولكن إعجابهم به لا يعدُوا أن يكون إعجاباً بالجمال فى ذاته. سيزعم كل قارئ أنك عنيت بكلامك سواه. فالفرد يقول أنا ضعيف ؛ فليتنى أقوى لتكون لى إرادة. والشعب يقول أنا جاهل ؛ فليتنى أعلم ليكون لى رأى. والحزب المعارض يقول أنا غير مسئول ؛ فليتنى أحكم ليكون لى أمر. والحزب الحاكم يقول أنا غير مستقر ؛ فليتنى أثبت ليكون لى تنفيذ ! فإذا قوى الفرد عمل لنفسه، وإذا تعلم الشعب عصف الطغيان فى رأسه، وإذا حكم المعارض لها بيومه من أمسه !! وإذن تذهب كلماتك الطيبة وأمثالها يا عزام كما تذهب النغمات الرخيمة فى هزيم العاصفة، أو النغمات الرخيمة فى ألفاف الغابة !

# حديث الطائر الصداح

للأستاذ كامل كيـــلانى

مر السلطان ذات ليلة بمنزل ، فتسمع فيه إلى ثلاث أخوات يتمنين الأمانى :

قالت الكبرى : أتمنى أن يبنى بى خباز السلطان !

وقالت الوسطى : أتمنى أن يبنى بى طباخ السلطان !

وقالت الصغرى : أتمنى أن يبنى بى السلطان نفسه !

ثم أصبح الصباح ، فحقق السلطان للأخوات الثلاث أمانيهن

دب فى نفس الأختين الكبرى والوسطى دبيب الغيرة من أختهما الصغرى ... فكيف تفردان بينها وبين السلطان ؟

حملت الصغرى ، وجاءها المخاض ، ولكنها لم تضع أميراً صغيراً ، بل وضعت — فيما زعمته شقيقتاها — كلباً !

وفى العام التالى وضعت قطاً ! وفى الثالث وضعت قرداً !

جازت حيلة الشقيقتين على السلطان ، وفعلت الخيانة فعلها فى نفسه ... فهجر زوجته البريئة !

ترعرع الأمراء الثلاثة أبناء السلطان الحقيقيون ... وفى ذات يوم أقاموا مأدبة حضرها البلبل الصداح ... وكان قد أشار على الأمراء أن يحشوا الخس والخيار باللآلئ !

غير أن السلطان لم يرقه ذلك ، فلما أبدى استنكاره ، هتف البلبل الصداح بالنشيد التالى . وهو مقتبس من قصة : « عجائب الدنيا الثلاث » للأستاذ كامل كيلانى التى تظهر فى أواخر سبتمبر القادم إن شاء الله .

حبات هذا اللؤلؤ الصغار ... يحشى بها الخس أو الخيار
تثير منك حيرة فتنكر ... عينك من دهشتها ما تبصر
ترى عجيباً قد تناهى فى العجب ... وغفلة ، فى طيها سوء أدب !
تراه شيئاً لا يجوز أبدا ... تنكره ، وليس يؤذى أحدا
وقبل هذا صدق السلطان ... أن تلد البهائم الإنسان
هل تلد الكلبة عنزاً أو حمل ... أو تلد النعجة فيلا أو جمل ؟
أو تلد النمورة الغزلانا ... أو تخرج التفاحة الرمانا
أو تلد الوحشية الإنسية ... أو تلد القطة آدمية ؟ !
فكيف جاز فى المعقول أن تلد ... سيدة السادات فى هذا البلد
كلباً وقطاً بعده ، وقردا ... أيهزلون ... فتراه جداً !
وهو محال ، عقلنا يأباه ، ... وسنة الحياة لا ترضاه !
حشو الطعام بنفيس الماس ... أدنى إلى المنطق والقياس

---

أغلب الظن يا صديقى أن أبرار الكتاب سيظلون يقولون الخير لأن لذتهم فى أن يقولوه ، وأن فجار الساسة سيظلون يعملون الشر لأن منفعتهم فى أن يعملوه ؛ حتى يشاء الله وحده للوئام أن يعم وللسلام أن يسود ، فيهيئ حينئذ لكلام الكتاب السبيل إلى أذهان الأحزاب والأقطاب ، فتتجدد دعوة الأنبياء ، وتتصل الأرض بأسباب السماء ، ويصبح الأدلاء فى ركب الحياة من أمثال عمر وصلاح الدين ، لا من أمثال ترومان وستالين .

فكر يا أخى وعبر ، ولا ضير عليك ألا يفهم الناس عنك ؛ فإن التفكير متعة العقل ، كما أن التعبير متعة الروح

(المنصورة) جرجس بزيات

---

(٣) فلسفة الشعب :

# الفلسفة الصــــامتة

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجي

لست أبغي أن أمحو الفروق العديدة التي تميز فكر الفيلسوف عن فكر الجمهور ، إنما أريد التقريب وعقد الصلات بينهما ، وبيان أن الهوة المزعومة بينهما لا وجود لها . ذلك أن المذاهب الفلسفية استمرار طبيعي لفلسفة صامتة ، تتسلل في آلاف الأذهان خفية كما تتسلل النار الكامنة ، حتى تشتعل وتومض وميضاً يبهر الأبصار بعد أن تكون قد مرت بدور كمون طويل . فما من مذهب جديد إلا وله سوابق وممهدات في مذاهب السابقين ، وهذه بدورها سبقتها نظرات ولمحات صامتة تبدو في حكم العامة وأساطيرهم وشعر الشعراء وقصص الأدباء . ولكن هؤلاء جميعاً بدت النظرات الفلسفية في إنتاجهم دون قصد أو وعي بها ومن أجل هذا أسميها فلسفة صامتة . إنما الفلسفة الناطقة هي تلك التي تعبر عنها المذاهب الفلسفية التي صاغها أصحابها على وعي منهم بها ، والتي تبدو جديدة مبتكرة . وما هي — لو تأملناها وأحطنا بملابساتها — غير تأليف وتوفيق جديد بين عناصر قديمة مرت بالعقل البشري من قبل و رسمنا الاهتداء إليها في مذاهب السابقين بل منبثة في ثنايا الشعر والحكمة الشعبية القديمة قدم الإنسان ذاته

إليك مثلا أفلاطون وهو صاحب أول مذهب متكامل شامل في تاريخ الفلسفة . يبدو مذهبه عملا ابتكارياً صرفاً . ولكن الحقيقة التي يكشف عنها تاريخ الفلسفة أن بعض النتائج التي وصل إليها غيره من المفكرين السابقين عليه ، قد دخلت في تكوين هيكل فلسفته : نظرية هرقليطس في التغير المستمر ، وفكرة فيثاغورس في العدد والموسيقى ، ورأى بارمنيدس في الوجود ثم فلسفة سقراط أستاذه الحبيب ، هذه جميعاً امتصها أفلاطون وتمثلها حتى استحالت إلى كيانه الفكري كما تستحيل الأغذية إلى كياننا الجسمي . ليس هذا فحسب بل نستطيع لو تابرنا أن نجد في الفكر القديم عند الهنود والمصريين أفكاراً تتصل بسبب قريب بأفكار منبثة في مذاهب أفلاطون .

يقول الأستاذ إسماعيل مظهر :

« إن مبادئ أفلاطون الأساسية وفكراته الجوهرية التي قام عليها مذهبه ، تدفع بنا إلى الرجوع سمياً ، لا إلى أسلافه الأقربين ولا إلى معلمه العميق النور سقراط ، الذي عاش في صفحات ما كتب أفلاطون ، ولكن إلى مدارس متفرقة سبقته فأكبت على التأمل الفكري في إغريقية وأيونيا وإيطاليا . ومن قبل هؤلاء قد نرجع إلى عصر الشعر ، ذلك العصر الذي نرى فيه بدايات الفلسفة تكاد تبدو من ضباب الزمن ، وهي لا تكاد تعرف حتى من قيمة ذاتها شيئاً . ثم مد نظرك لأبعد من هذه الفلسفة غير الواعية الحقيقة ما هي ، وانغمر في ضمير الزمان إلى تلك البدايات التي تمثلت في الميول العقلية والخلجات النفسية وترامى قوى الفكر إلى حجب العالم ، تجد أن هذه الأشياء قد شهدت ميلاد فكرات أفلاطون بنسب ، منحدرة إليه من مدنيات عتيقة موغلة في القدم من الهند ومصر ، وتجد فوق ذلك أن هذه الفكرات لا تزال حتى اليوم تؤثر أثرها المحتوم في عالم التأمل . »[1]

وليس هذا عجيباً إذا علمنا أن الطريق إلى التعليلات الفلسفية ليس عقل الفيلسوف وحده فهنالك لدى العامة حدس صادق ، أو حس سليم هو طريق آخر يفضى إلى نظرات عامة في الكون والأخلاق فيها من الصدق والصفاء ما يجمل لها قيمة تدانى قيمة مذاهب الفلاسفة والخلاصة أن المذاهب الفلسفية يقابلها فلسفة واقعية صامتة أو هي — كما قال الأستاذ إسماعيل مظهر : « لا تعى ذاتها » .

عقد الأستاذ « ألبير بابيه »[2] في كتابه « أخلاق العلم »[3] فصلا يبين فيه أن النظريات الفلسفية الأخلاقية ، تسبقها أخلاق واقعية ، وأنها مجرد تركيز أو تبلور لتصورات الناس الواقعية لمثل أعلى . بل ويفضل الأخلاق الواقعية على النظريات الفلسفية لأن أثر الأخيرة في تطور المجتمع أثر يكاد ينعدم .

يقول الأستاذ بابيه بهذا الصدد :

---

(١) في مقال له بعنوان « الفيلسوف الباكى » هرقليطس بالمقتطف عدد يونيو سنة ١٩٤٥

(٢) الأستاذ بالسربون

(٣) قام بترجمته تلميذه الدكتور عثمان أمين بعنوان « دفاع عن العلم »

« لننظر فى أكبر تحول عرفته المجتمعات البشرية : وهو إلغاء الرق . لو سئلنا اليوم فى القرن العشرين باسم أى مذهب نستنكر الرق ؟ استطعنا أن نجيب جواباً لا يخلو من منطق : إن ذلك باسم فلسفة القرن الثامن عشر التى أعلنت حقوق الإنسان ولكنا نعلم حق العلم أن تلك النظرية لم تحرر إلا بعد حين ، أى بعد أن كانت المهمة قد تمت ، وبعد أن كان الرق كله قد اختفى أو كاد يختفى من مجتمعاتنا ، ولكن نبحث فى التاريخ عن المذاهب التى أدت إلى إلغاء الرق : يُحيل بعض المفكرين إلى الأخلاق الرواقية ، ولكن الرواقيين كان لهم أرقاء . ويحيل البعض الآخر إلى الأخلاق المسيحية ، ولكن المسيحية كان لها أرقاء . ولقد كان المفكرون من جميع المدارس يجدون دائماً صيغة مرنة تعينهم على أن يراعوا النظام العتيق ، وكأنهم يحملون عليه باحدى اليدين ويؤيدونه باليد الأخرى . ابحث ما شئت فى التاريخ ، فإنك لن تجد ذلك المشهد الرائع : مشهد مذهب يقوم فيقضى على الرق . ولكن من حسن الحظ أن هنالك أخلاقاً واقعية كانت تعمل وتؤثر ، بينما كان الفلاسفة يتكلمون ويكتبون . وتلك الأخلاق الواقعية هى التى ألهمت « نيرون » ذلك المحسن إلى الإنسانية ، أن يحقق ذلك العمل الثورى العظيم الذى أباح للرقيق إذا عومل معاملة بالغة القسوة أن يرفع شكواه إلى القضاء . وألهمت القرارات الكثيرة التى أصلحت حال الرقيق ثم الموالى . فماذا كانت حقيقة تلك الأخلاق الواقعية ؟

لو سئل الذين كانوا أول من عمل لهذه الأخلاق ، يقعون فى متناقضات تستدعى الإشفاق حين يستهدفون إلى الإشارة بهذا الصدد إلى شىء من المبادئ (١) . ولكنا نحن بعد حين نرى النهج الذى سلكوه ، والذى انتهى إلى حقوق الإنسان . إن الأخلاق الصامتة المتضمنة فى جهودهم المتواصلة أقوى من العبارات المزعومة التى نقرأها فى كتب الفلاسفة » .

أجل ، بينما كان الفلاسفة يكتبون ويناقشون مذاهبهم الفلسفية فى الأخلاق كانت هنالك فى ضمير الشعب فلسفات أخلاقية صامتة ، تؤثر أثراً قوياً ولكن فى صمت حتى تحققت بعد أن كانت أملا تهفو إليه النفوس ذلك هو التحرر من الرق والعبودية .

## الفلسفة فى الإنتاج الأدبى : …

ألا ينهض ذلك دليلا على أن الفلسفة تمد جذورها فى حياتنا إلى أعماق سحيقة ؟ وأن لحظات قد تواتى جمهور الناس — رغم طغيان المشاغل اليومية — فتنفذ بصائرهم إلى هذه الأعماق ، وتغوص عقولهم إلى القاع لتصعد محملة بلآلئ الأفكار يذيعونها أمثالا مأثورة أو حكما ، وقد لا يفصحون عنها لفظاً ولكن تفصح عنها حياتهم بما تنطوى عليه من معنى فلسفى ؟ ولو تركنا طبقة الجمهور إلى طبقة الكتاب من غير الفلاسفة ، لوجدنا فى طيات كتبهم نظرات وتعميمات فلسفية . مثال ذلك : مسرحيات سوفوكليس وشكسبير وموليير وروايات برنارد شو وأندريه جيد ونجيب الريحانى وشارلى شابلن وجوته ، نرى فيها جميعاً لمحات فلسفية منبثة هنا وهناك فى إنتاجهم ، وطالما كانوا أكثر توفيقاً من الفلاسفة ؛ إذ سرعان ما تنفذ اتجاهاتهم إلى شغاف نفسك فى يسر لتستقر فى الأعماق . وما ذلك إلا لأنهم لم يعمدوا إلى ما يعمد إليه أهل الصنعة من الفلاسفة حين يجردون الأفكار من الحياة ، وينتزعونها من الواقع الذى تولدت فيه ، ونمت وازدهرت .

أينما نولى الطرف فى الإنتاج الروائى الخالد يقع بصرنا على بطل يجسم مشكلة من المشاكل الإنسانية ، تعترضنا جميعاً أياً كان زماننا وأياً كان مكاننا ، كمشكلة السعى الأبدى لبلوغ الحق والخير والجمال كما تصورها مأساة « فاوست » ، والصراع الدائم بين قوى الفرد وقوة المجتمع العاتية التى لا تأبه لآمال الأفراد أو آلامهم كما تبرزها قصة الحلاق الفيلسوف « فيجارو » ، أو روايات نجيب الريحانى التى تضحكنا رغم انطوائها على المأساة البشرية الكبرى : ما تلاقيه النفوس الخيرية من عنت فى هذا العالم والتى تنتهى جميعاً إلى اعتبار الخير غاية فى ذاته والسعادة فى راحة الضمير والمتتبع لروايات شارلى شابلن خاصة فى الفترة الأخيرة من حياته يلمس روحاً فلسفية تسرى فى جوانبها . لو تأملنا آخر روايات « المسيو فيردو » محترف قتل السيدات لاستخلصنا الدرس العميق الذى يلقيه على الإنسانية العاتية الحمقاء « التى ترفع مثيرى الحروب

(١) يقصد أن إرجاع هذه الأخلاق الواقعية إلى مذهب من مذاهب الفلاسفة عمل لا يخلو من تناقض .

الذين يسفكون دماء الملايين إلى منزلة الأبطال الخالدين ، وتحكم بالإعدام على فرد قتل عدداً قليلا من الناس ليحصل منهم على ما يقيم الأود بعد أن طرق الأبواب فلم يجد رزقاً » ، ذلك الدرس يفرغه شارلى العظام فى الحوار الأخير بينه وبين القسيس الذى أتى يباركه قبيل تنفيذ حكم الإعدام فيه ، إذ يعلن للقسيس عدم احتياجه إليه فيلح القسيس عليه أن يصلى ويتحدث إليه لعل الله يستجيب له فيقول « المسيو فيردو » : ليس الخلاف يا سيدى بينى وبين الله إنه بينى وبين البشر » أجل إن النظام الطبيعى خير ولكن البشر هم الذين يفسدونه . البشر وحدهم مسئولون عن وجود الشر فى العالم ويخطئ من يدعى أن الله يريد بالعالم شراً .

عالج كثير من الفلاسفة فى أسفار عدة موضوع الإرادة الإنسانية أهى حرة أم مجبرة ، وعالجوا فكرة القضاء والقدر ، وفكرة الاتفاق فى الطبيعة والحظ لدى الإنسان . ونستطيع الاستنارة فى هذه الموضوعات لو فتشنا عنها فى كتب الفلاسفة ، ولكنا نراها فى ضوء باهر ونلمسها ونحياها لو أنا عشنا لحظات مع الشاعر الروائى سوفوكليس فى مسرحيته « أوديب ملكا » التى كتبها فى أثينا فى القرن الخامس قبل الميلاد ، أو لو أنا جلسنا إلى « أندريه جيد » نقرأ روايته « أوديب » التى كتبها فى فرنسا منذ أعوام قلائل . خمسة وعشرون قرناً من الزمان تفرق بين الخالدين ، دون أن تمحو من الأذهان مشكلة فلسفية كبرى : تلك هى الصراع بين القضاء المحتوم والإرادة الإنسانية المختارة .

ولأترك القارئ لحظات إلى أستاذنا الدكتور طه حسين يكشف له عن الفلسفة التى تتضمنها قصة أوديب عند كل من سوفوكل وجيد :(١)

« هناك قضاء كان اليونان يؤمنون بأنه مسيطر على كل شيء وعلى كل كائن لا يفلت منه الآلهة أنفسهم . وهناك الإنسان كان يشعر بأن له عقلاً يميز به بين الخير والشر ، وبأن له إرادة يعمد بها إلى أحد هذين الشيئين اللذين يميز العقل بينهما وهما : الخير والشر . فليس هناك إذن بد من أن يكون اصطدام بين القضاء المحتوم الذى لا يفلت منه الإنسان أو الإله ، وبين هذه الإرادة التى زعم الإنسان أنها حرة مختارة تستطيع أن تعمد إلى ما تحب وتنصرف عما تكره سواء أراد القضاء أم لم يرد .

هذه الفكرة التى قصد سوفوكل إلى أن يصورها فى قصته ومن قبله كان الشاعر اليونانى الممثل ( أيسكلوس ) الذى ذهب فى تمثيله إلى تغليب القضاء على الإرادة الحرة المختارة ، ومن بعده جاء الشاعر اليونانى الممثل ( أوريبيد ) الذى ذهب إلى كسب الحرية للإرادة الإنسانية وأنكر القضاء أو كاد ينكره . أما سوفوكل فتوسط بين الأمرين . لم ينكر القضاء ولكنه لم يلغ الإرادة الإنسانية ، وإنما اعترف لها بشيء من الحق واعترف لها بأنها إن لم تستطع تغيير مجرى القضاء ، فإنها تستطيع أن تقاوم هذا القضاء مقاومة ما ...

صور لنا سوفوكل صراعاً بين القضاء وبين الإرادة وأظهر لنا الإنسان وقد غلبه القضاء . ولكنه لم يغلبه فى سهولة ويسر . وإنما غلبه بعد أن قاومه الإنسان مقاومة عنيفة متصلة ، بالغة أقصى ما يمكن أن تبلغ من القوة والعنف ... »



ثم يمضى الدكتور طه مبيناً تصور أندريه جيد لنفس المشكلة :

« يصور لنا أوديب مصارعاً للقضاء يغلبه القضاء أولا . ثم مؤمناً بنفسه معتزاً بإرادته وينتصر على القضاء آخر الأمر ... أوديب عنده رمز للإنسان الذى لا يؤمن إلا بنفسه وبإرادته ، قد قبل سعادته راضياً عنها ، وهو يقبل شقاءه راضياً عنه ، وهو مطمئن كل الاطمئنان إلى أن الرجل الحق هو الذى يتلقى الحياة صامداً لها راضياً عنها ، متمتعاً بخيرها عن ثقة وعلم أيضاً ، لا يشكو ولا يتزعزع ، فهنالك سؤال واحد يلقى دائماً على كل إنسان ليس له إلا جواب واحد . أما السؤال فهو : ما اللغز وكيف يحل لغز الحياة الإنسانية ؟ وأما الجواب فهو : أن اللغز هو الإنسان ، وحله : هو أن يمضى الإنسان تبعاً لإرادته ، وفق عواطفه وشعوره وغرائزه وعقله .

هذه هى القصة التى كتبها أندريه جيد وهى كما ترون تمعن فى الفلسفة ، وتبعد عن العناية الفنية » .

( الاسكندرية ) عبد المنعم المليجى

(١) نقلا عن محاضرته فى نادى الخريجين المصرى سنة ١٩٤٩ « الملك أوديب فى الآداب المختلفة »

# عبقرية محمد على الكبير

للأستاذ كمال السيد درويش

« حقاً لقد كان عبقرياً ! »

هتفتُ بهذه العبارة من أعماق قلبي ونطق بها لساني بعد أن ملك الإعجاب نفسي . كان ذلك بعد أن انتهيت من قراءة بعض صفحات تاريخه الخالد بمناسبة ذكراه .

قلبت تلك الصفحات ، فاستوقف نظرى ذلك الحوار الذى دار بين محمد على وبين بُركارت الرحالة السويسرى . كان الرحالة قد اعتنق الإسلام وتسمى بالشيخ ابراهيم وأطلق لحيته حتى يتسنى له الاختلاط التام بالمسلمين . وكان محمد على قد سافر بنفسه — كما هو معروف — إلى بلاد العرب على رأس حملة عسكرية لمساعدة نجله فى قتال الوهابيين . ويصل الشيخ إبراهيم إلى الحجاز فى ذلك الحين ليؤدى فريضة الحج مع المسلمين ويدون ذلك كله فى كتابه المشهور .

ويستدعى الباشا الرحالة — وقد علم بوجوده — ما السر فى حضوره إلى الحجاز ؟ وفى ذلك الحين بالذات ؟ ألا يحتمل أن يكون جاسوساً انجليزياً ؟ دارت هذه الأفكار فى ذهن الباشا فالتفت إلى بركارت وهو يقول مداعباً : ألا ترى معى يا شيخ ابراهيم أن اللحية وحدها لا تكفى لجعل الإنسان مسلماً حقيقياً ؟ وحين يحجم الرحالة بين ذلك عن تكرار الزيارات لأن الباشا يشك فى أمره — كما فهم — يقول محمد على لترجمانه : اخبره أنى أرحب به سواء كان مسلماً أو غير مسلم .

وتتعدد المقابلات بينهما ...

ويستفسر محمد على منه عن أسفاره السابقة إلى بلاد النوبة ، ثم يتدرج إلى السؤال عن المماليك ومدى قوتهم وعن رأيه فى عدد القوة التى تكفى للقضاء عليهم ، وأفضل الطرق للوصول إلى السودان وعن المال اللازم لإعدادها .

وتصل إليهما فى ذلك الحين الأخبار بهزيمة نابليون وبدخول الحلفاء باريس وبإبعاد نابليون إلى جزيرة إلبا ، ويسأله الرحالة عن رأيه فى تلك الحوادث ، ويعلق محمد على بقوله : إن نابليون كان جباناً فى سلوكه . كان يجدر به أن يلقى حتفه فى الميدان بدلا من الاستسلام للذل والهوان والحبس فى هذا القفص حتى غدا أضحوكة العالم بأسره . ثم يلتمس محمد على لنابليون العذر فيقول : لقد كان أعوانه خونة كالعثمانيين . لقد تخلى عنه أعوانه الممتازون وقواده المشهورون من يدينون له بالفضل والشهرة والجاه ، فهو ضحية خيانة الأصدقاء قبل أن يكون ضحية الأعداء .

ويروى الرحالة أن الباشا كان شديد الشوق لمعرفة آخر التطورات الأخيرة فى حوادث أوروبا على العلاقة بين روسيا وبريطانيا وفى نيات الأخيرة نحو مصر . وحين حاول الرحالة إزالة مخاوف محمد على وشكوكه من جانب انجلترا وإقناعه بسلامة نيتها نحو الدولة العثمانية ونحو مصر بالذات أبى الباشا أن يستجيب له ، وهز رأسه فى إنكار وهو يقول : إن السمكة الكبيرة تأكل السمكة الصغيرة ؟ ومصر ضرورية لانجلترا ، فكيف أطمئن على نياتها نحو مصر ؟ أنا لا أخاف من السلطان ، فأنا أعرف كيف أتفوق عليه فى المكر والدهاء ، ولكنى أخشى على مصر من انجلترا وأطماعها .

ولاحظ بركارت فى لهجة محمد على حماس الشاب الولهان ، وغيرته على زوجه الصغيرة الحسناء من الغرباء ، بالرغم من تأكده من حبها وإخلاصها .

عند ذلك رد محمد على على محدثه وهو يقول فى حماس شديد كلمته الخالدة : « حقاً أنا أحب مصر ، أحبها حب العاشق المتيم الولهان ، ولو كنت أملك سوى روحى عشرة آلاف أخرى ، لضحيت بها فى سبيلها » .

أفلا يحق للقارئ — وقد انتهى من هذا الحديث الخالد — أن يهتف من أعماق قلبه : « حقاً ، لقد كان رجلا عبقرياً ! »

كان وهو يحارب الوهابيين فى بلاد العرب يفكر فى مصر وفى أهلها ، وفى علاقتهم بولده إبراهيم وقد تركه حاكما عليهم ، فيسأله الرحالة عن مدى حب الأهالى لولده وعن رأيهم فيه ؟ ألم يكن بهذا أول حاكم يبنى علاقة الحاكم بالمحكوم على أساس متين من المحبة الصادقة ؟ فى الوقت الذى كان فيه الاستبداد من الأصول

من ظرفاء العصر العباسى :

# أبو دلامـــــة

توفي سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحى إبراهيم الصالح

— ٣ —

عرف أبو دلامة بخل المنصـور ، وأنه لن ينال منه العطاء إلا بعد تعب طويل ، فكان ينتهز الفرصـة في إرضائه بما يعلم أنه يستريح إلى سماعه . فهو مثلا يعرف أن المنصـور — بعد قتله أبا مسلم الخرسانى — كان يحب من الناس أن يبرروا عمله ويعتبروا أبا مسلم مستحقاً لتلك المأساة التى ختمت بهـا حياته ، فلينتهز أبو دلامة هـــذه الفرصة ولينشد المنصور فى محفل من الناس :

أبا مســـلم خوفتنى القتل فانتحى
عليك بما خوفتنى الأسد الوردُ

أبا مسلم ما غـــير الله نعمةً   على عبـده حتى يغيرها العبد

وإنك لتجد فى هذين البيتين قوة فى السبك تشعرك بأن أبا دلامة لم يكن فى القصيد شيئاً يستهان به أو يستخف بوزنه . لذلك سر المنصور بهذه القصيدة وقال لأبى دلامة : احتكم ، قال : عشرة آلاف درهم . فأمر له بهـا : فلما خلا به قال له مازحاً : إيه ! أما والله لو تعديتها لقتلتك ! [1]

بل لقد أعطاه المنصور داراً وكسوة لإعجابه بقصيدة وصف له فيها سوء حاله وقلة ماله وجوع أهله ، ومدحه فيها وأثنى على بنى العباس واسمع إذا شئت هذه القصيدة :

هاتيك والدتى عجـــوز همةٌ[2]
مثـل البليلة درعها فى الشجب[3]

(١) الأغانى جـ ١٠ ص ٢٣٥

(٢) الهمة : العجوز الفانية .

(٣) الشجب ( ومثله الشجاب ) خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر . يريد أن أمه فنيت حتى أشبهت خشبات الشجب .

الرعية لدى الحكام والمحكومين ؟

ألم يتابع — وهو فى عزلته — تطور الحوادث العالمية مقدراً ما سيكون لها من أثر على مستقبل مصر ؟ ألم يدرك بثاقب فكره وحسن تقديره ، ونفاذ بصيرته ، حقيقة العلاقة بين انجلترا ومصر؟ وأن واجب مصر يحتم عليها الأخذ بأسباب القوة حتى لا تلتهمها تلك السمكة الكبيرة ؟

ولقد فعل فلم تكشف انجلترا عن نواياها ، حتى إذا تركنا الأخذ بأسباب القوة ، وتنكبنا الطريق التى رسمها ، هب إعصار الإنجليز ، فاكتسح استقلالنا ، ومسخ قوميتنا ، وشوه تاريخنا ؟

حقاً ، لقد أيدت الحوادث صدق نظر محمد على وسذاجة الرحالة السويسرى !

وهكذا تفتحت عبقرية محمد على الكبير وهو بعد لما يزل والياً صغيراً !

لقد أحب مصر لدرجة العشق والهيام ، وتمنى أن لو كان لديه أكثر من روح واحدة حتى يقدم الآلاف فى سبيلها .

ولقد ضحى فعلا بأبنائه بإسماعيل وبطوسون وبإبراهيم ، وأخيراً بروحه هو نفسه .

وهكذا أعطى مصر أكثر مما أعطته ، ومنحها أكثر مما منحته وأصبح اسمه علماً على نهضتها وعظمتها فى تاريخها الحديث .

لقد أخلص محمد على فى حبه لمصر لمشوقته الحسناء ، وفتاته الهيفاء ، حتى الرمق الأخير ...

فلا عجب إذا احتفلت قلوب المصريين بذكرى المؤسس الأول الخالد فى سجل الخالدين وهى تهتف بلسان واحد :

حقاً لقد كان عبقرياً !

كمال السيد درويش
مدرس بالرمل الثانوية — اسكندرية
ليسانسيه الآداب بامتياز ودبلوم معهد التربية العالى
وعضو الجمعية التاريخية لخريجى جامعة فاروق

مهزولة اللَّحيين[١] من يرها يقل
أبصرتُ غولاً أو خيالَ القُطرب[٢]

ما إن تركتُ لها ولا لابن لها      مالاً يؤمل غير بَكْر أجرب
ودجاجتا خمساً يُرجن إليهمُ      لا يبضن، وغيرَ عَيْر[٣] مغرب
كتبوا إليَّ صحيفة مطبوعة[٤]      جعلوا عليها طينة كالعقرب
فعلمت إن الشر عند فكا كها      ففككتها عن مثل ريح الجورب
وإذا شبيه بالأفاعي رُقشتْ      يوعدنني بتلمُّظ وتثوّب
يشكون أن الجوع أهلك بعضهم      لَزَبَاً[٥] فهل لك في عيال لُزَّب
لا يسألونك غير طل سحابة      تغشاهمُ من سيلك المتحلب
يا باذل الخيرات يابن بذولها      وابن الكرام وكلِّ قرم منجب
أنتم بنو العباس يُعلَم أنكم      قدْماً فوارسُ كل يوم أشهب
أحلاس[٦] خيل الله وهي مغيرة
يخرجن من خَلَل الغبار الأكهب[٧]

وكانت الدار التي أعطاها المنصور أبا دلامة قريبة من قصره، فأمر بأن تزاد في قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها. فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله:

يا بن عم النبي دعوة شيخٍ      قد دنا هدم داره ودمارُه
فهو كالماخض التي اعتادها الطلـ      ـق فقرَّت وما يقر قراره
إن تحزْ عسره بكفيك يوماً      فبكفيك عسره ويساره
أو تدَعْــه فللبوار وأنى      ولماذا وأنت حي بواره ؟
هل يخاف الهلاك شاعرُ قوم      قدُمتْ في مديحهم أشعارُه ؟
لكم الأرض كلها فأعيروا      شيخكم ما احتوى عليه جداره
فكأنْ قد مضى وخلّف فيكم      ما أعرتم وأقفرت منه داره

فاستعبر المنصور، وأمر بتعويضه داراً خيراً منها ووصله.[٨]

ولو لم يتأثر بمعاني الشعر أبو جعفر، لما دمعت عيناه فاستعبر

(١) اللحى عظم الحنك وهو الذي عليه الأسنان.
(٢) القطرب هنا: ذكر الغيلان أو الصغير من الجن.
(٣) العير: (بالفتح) الحمار. والمغرب: الذي اشتد بياضه حتى تبيض محاجره وأرفاغه.      (٤) مطبوعة: مختومه
(٥) اللزب ضيق العيش      (٦) أحلاس الخيل هنا: الملازمون ظهورها      (٧) الكهبة: غبرة مشربة سواداً.
(٨) الأغاني جـ ١٠ ص ٢٠٩

ولما عوض عليه تلك الدار بأحسن منها وطيب خاطره وأجزل صلته مع علمه بأنه أكثر إجادة للتمثيل منه لوصف حقيقة حاله. وانظر إلى تمثيل أبي دلامة واستخدامه الأساليب التي ترقق من قلب المنصور تارة، وتضحكه حتى تبدو نواجذه تارة أخرى، يوم دخل عليه فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

إن الخليط أجدّ البَيْنَ فانتجعوا[١]
وزوّدوك خبالاً بئس ما صنعوا

والله يعلم أن كادت لبينهمُ      يوم الفراق حصاة القلب تنصدع
عجبتُ من صبيتي يوماً وأمِّهمُ      أمِّ الدلامة لما هاجها الجزَع
لا بارك الله فيها من منبهة      هبت تلوم عيالي بعد ما هجعوا
ونحن مشتبهو الألوان أوجُهنا      سُودٌ قباح وفي أسمائنا شَنَع
أذابك الجوع مذ صارت عيالتنا      على الخليفة منه الرِّيُّ والشبع[٢]
لا والذي يا أمير المؤمنين قضى      لك الخلافةَ في أسبابها الرِّفع
ما زلت أخلعها كسبي فتأكله      دوني ودون عيالي ثم تضطجع
شوهاء مشنأةٌ في بطنها نجَلٌ      وفي المفاصل من أوصالها فدع[٣]
ذكرتُها بكتاب الله حرمتنا      ولم تكن بكتاب الله تنتفع
فاخرنطمت[٤] ثم قالت وهي مغضبة
أأنت تتلو كتاب الله يا لُكعُ

أخرجْ لتبغ لنا مالاً ومزرعة      كما لجيراننا مال ومزدَرَعُ
واخدع خليفتنا عنها بمسألة      إن الخليفة للسؤال ينخدع

ولقد انخدع أبو جعفر حقاً بهذه المسألة فإنه ضحك ثم قال: أرضوها عني واكتبوا له بمائتي جريب عامرة ومائتي جريب غامرة فقال له: أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة

(١) راعى في ضمير الخليط اللفظ فأفرد (أجد البين) والمعنى لجمع (انتجعوا) وهذا جائز لغة في نحو قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنوره) أي كمثلهم كمثل الفريق الذي ... والفريق كالخليط كلاهما من الأسماء التي يدل معناها على الجمع
(٢) ويروى هذا البيت:
إذا تشكت إلى الجوع قلت لها      ما هاج جوعك إلا الري والشبع
وما رويناه أجود.
(٣) النجل: عظم البطن واسترخاؤه. والفدع: الاعوجاج
(٤) إخرنطمت: رفعت رأسها واستكبرت

فيما بين الحـيرة والنجف ، وإن شئت زدتك . فضحك وقال : اجعلها كلها عامرة(١)

ولعلك تذكر أن قد مر بك — حول الجريب العامر والجريب الغامر — محاورة شبيهة بهذه بين أبى دلامة والسفاح فلا تسرع إلى اعتبار إحداهما موضوعة ، فكثيراً ما يستطيب اللاحق نكتة للسابق فيتناقلها استمتاعاً بها ورغبة فى سماع جواب جديد عليها . وجواب أبى دلامة للمنصور هنا — وإن أشبه جوابه للسفاح — إلا أن الرد الجديد أكثر طرافة . فقد قال هناك : قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافى بنى أسد ، ولم يكتف بفيافى بنى أسد مع المنصور فقد أبعد الشقة فقال له : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف ، وإن شئت زدتك .

ولأبى دلامة فى مسألة المنصور والوصول إلى عطائه أسلوب أدعى إلى الغرابة من كل ما سبق ، فقد تطوع له نفسه تلفيق الرؤيا ، وهو يعلم أنه متهم بالكذب فيطلب من الخليفة تصديقه كأنه يريد أن يشهده على خداعه .

دخل على المنصور يوماً فأنشده :

رأيتك فى المنام كسوت جلدى ثياباً جمة وقضيت دَينى

فكان بنفسجىُّ الخز فيها وساجٌ(٢) ناعم فأتم زينى

فصدقْ يا فدتك النفس رؤيا رأتها فى المنام كذاك عينى

فأمر له بذلك وقال له : لا تعد أن تتحلم(٣) على ثانية ، فأجعل حُلمك أضغاثاً ولا أحققه(٤)

ونديم يجد فى نفسه الجرأة على تلفيق الرؤيا إمام الخليفة له من الدلال عليه ما يشفع له ، وإلا لالتمس لنفسه أسلوباً أسلم . ونعرف دلال أبى دلامة على المنصور من إعفائه إياه من السواد والقلانس دون الناس : فقد أمر أبو جعفر أصحابه بلبس السواد وقلانسَ طوال تدعم بعيدان من داخلها ، وأن يعلقوا السيوف فى المناطق

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٣٧

(٢) الساج : الطيلسان الأخضر وقيل الأسود وقيل المدور ينسج كذلك . وفى الأساس : «لبسوا السيجان وهى الطيالسة المدورة الواسعة»

(٣) تحلم فلان : قال حلمت بكذا وهو كاذب

(٤) الأغانى ج ١٠ ص ٢٥١

ويكتبوا على ظهورهم (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) . فدخل عليه أبو دلامة فى هذا الزى فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شر حال ، وجهى فى نصفى ، وسيفى فى أستى ، وكتاب الله وراء ظهرى ، وقد صبغت بالسواد ثيابى . فضحك منه وأعفاه وحده من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمع هذا منك أحد(١) .

وفى هذا يقول أبو دلامة :

وكنا نرجى من إمام زيادة فجاد بطول زاده فى القلانس

تراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جللت بالبرانس(٢)

فهل كان الخليفة يعفيه من ذاك اللباس من دون الناس لولا دلاله عليه ؟ ...

(يتبع) صبحى إبراهيم الصالح

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٣٦ . وفى معجم الأدباء ج ١١ ص ١٦٦

(٢) البرانس : جمع برنس قلنسوة طويلة ، أو كل ثوب رأسه منه

# تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

عتاب وطني كريم من السودان :

... ... ...

تحية طيبة وتقديراً عظيما ، وشكراً على هذا الأدب الحار الذي تمتعنا به في « الرسالة » كل أسبوع ...

وبعد ، فقد ذكرت في كلمتك بعدد « الرسالة » (٨٣٣) تحت عنوان « بين نعيم الديمقراطية وجحيم الشيوعية » كلمات مدحت بها الإنجليز في حفاظهم على مبدأ الحرية وتأثرهم بالحياة الديمقراطية الحرة حينما تقارنهم بالأمريكيين أو الروس .

وكاتب هذه السطور يحتقر الشيوعية ، كما يكفر بكل هذه النظم الغربية الفاشلة . أما الذي دعاني إلى الكتابة إليك ، فهو أني أستكثر جداً ذلك المدح المعمم الذي أضفيته على الإنجليز حينما قلت إنهم « أصحاب ديمقراطية يؤمن بها الحاكم ويستشعرها المحكوم ، ويلتقون جميعاً في رحابها كما كرم ما يلتقي الإنسان الكريم بالإنسان الكريم » ...

إذ كنت تقصد يا سيدي أنهم يسيرون وفق هذا المبدأ في انجلترا وحدها فهو صحيح ، ولكن الإنجليز لا يستحقون على ذلك كل هذا المدح ، بل يجب أن نقول إنهم أنانيون وغير إنسانيين ، وأنهم لم يؤمنوا بعد بمبدأ الحرية الذي يجعل الناس سواسية كأسنان المشط مستعمرين أو مستعمَرين . فالإنجليز خارج انجلترا حكام إرهابيون بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وأظنك قد سمعت بالقنابل التي فتكت بمواطنيك من أبناء الجنوب في شهر نوفمبر الماضي في « عطبرة » و « بورسودان » ، وعشات الجرحى ومئات الذين ضربوا بالعصي المليئة في « الخرطوم » ، ومئات الذين زجوا في سجون البلدان الأخرى بالسودان لشيء بسيط هو أبسط مايسمح به للفرد في ظل الحكومة الديمقراطية ، هو إعلان الرأي سواء بالكتابة أو الخطابة أو المظاهرة السلمية العزلاء !

وأظنك تسمع بسلسلة المحاكمات الجارية اليوم تحت المادة (١٠٥ من قانون عقوبات السودان) ، لأن فلاناً كتب مقالا ، أو أدلى بتصريح من شأنه أن يسبب كراهية الإنجليز أو حكومة السودان ، وغير ذلك ... فما رأى الأستاذ في هذه الديمقراطية الزيفة ؟ ! أقول لن يستطيع الإنجليز أن يحصلوا على مدحك هذا عن جدارة واستحقاق حتى يتساوى المحكوم في (الخرطوم) بالمحكوم في (لندن) في كل الحقوق الديمقراطية ، وحتى يؤمن الإنجليز ببيتي فيلسوف العرب المعري :

ولو أني حبيت الخلد فردا ... لما أحببت بالخلد انفرادا

فلا هطلت على ولا بأرضي ... سحائب ليس تنتظم البلادا

وإني في انتظار ردك الكريم .

(السودان) ج . ع البشير

هذا هو العتاب الوطني الكريم الذي تلقيته من الجنوب وأشرت إليه في عدد مضى من « الرسالة » ... إن كلماته الملهبة بصدق الوطنية وحرارة الإيمان لتهزني هزاً عنيفاً ، تهزني لأنها تحمل إلى من أعماق النفوس الأبية نفحات ونفحات ، وتنقل إلى من سجل الجهاد النادر سطوراً هي في حساب الشعور صفحات ...

أما العتاب — وإن كنت لا أستحقه — إلا أنني أنزله من نفسي منزل الود الخالص والأخوة المتسامية ، الأخوة التي استروحت أنسام الأرض الطيبة على ضفاف نهر واحد وتحت سماء وطن واحد ! يا أخي ، يا أخي في الله والدين والوطن ... إن الأرض التي جمعت بين قلبي وقلبك لتجمع بين جراح وجراح ، وإن النيل الذي ربط بين روحي وروحك ليربط بين كفاح وكفاح ... أنا هنا وأنت هناك ، ويابعد الشقة في منطق الظلم البغيض ، ويا قربها في منطق الحب المتغلغل في طوايا الوجدان ... نحن يا أخي في ميدان الجهاد يد تمد إلى يد ، وفي معرض التضحية قدم تسعى إلى قدم ، وفي مجال الوفاء عاطفة تقبس من عاطفة ... فكيف تعاتبني على كلمات قلتها في سياق الحديث عن قوم يؤمنون بالديمقراطية في أرضهم ، ويكفرون بها في أرض الناس ؟ !

أجل ، ياصديق ، لقد كنت أتحدث عن الإنجليز في بلادهم ، إنهم هناك أصحاب ديمقراطية يؤمن بها الحاكم ويستشعرها المحكوم ، ويلتقون جميعاً في رحابها كما كرم ما يلتقي الإنسان الكريم بالإنسان الكريم ... حقيقة نسجلها في الممشان ويسجلها

التاريخ ، حتى إذا ما سجلنا النقيض كنا أمناء على الحق سواء أشدنا بالعدل أم أشرنا إلى الظلم والطغيان !

من الحق أن ننعت الإنجليز بأنهم مثاليون فى بلادهم ، مثاليون فى قيم النزاهة ومعايير الخلق وموازين الإنسانية والضمير!

ومن الحق أيضاً أن ننعتهم بأنهم مثاليون فى غير بلادهم ، مثاليون فى الأنانية والجشع ، وضيعة الضمير والخلق ، وانتفاء العدل والإنصاف . وتلك هى العناوين الضخمة التى يسطر تحتها التاريخ كلماته الخالدة حين يعرض للحكم البريطانى فى أرضه وكل أرض سكنها الأحرار فى كل زمان ومكان !

يا أخى ، يا أخى فى الله والدين والوطن ... إن الأنشودة الرائعة التى بدأناها فى شمال الوادى ، أنشودة الجهاد التى انطلقت من قيثارة الأحرار ، قد أذن الله أن ترسل أنغامها فى جنوبه . وكل نغم إلى فناء ، وكل نار إلى رماد ، وكل ذكرى إلى نسيان ... ولكن أنغامنا ستظل إلى الأبد ترن فى مسمع الزمن ، ولكن نارنا ستظل إلى الأبد تضئ الطريق للسالكين ، ولكن ذكرانا ستظل إلى الأبد قصة تروى وعطراً يفوح !

ولا عليك يا أخى من تلك القيود ... إن معدنها الرخيص سيذوب يوماً تحت وهج النار المتأججة فى حنايا الضلوع !

ولقد قال أبو العلاء ما قال لأنه إنسان ، ولكن أين من يستمع لنداء الإنسانية وقانون السماء ؟ ألا ليت الطغاة قد جعلوا شعار حكمهم هذه الكلمات التى انطلقت من أعماق بطل الحرية إبراهام لنكولن : « إن ضوء الشمس لا يفرق فى يد الله بين أحرار وعبيد ، فلم يفرق ضوء الحرية فى أيدينا بين أنصار وخصوم»!

ومع ذلك فنسير يوماً جنباً إلى جنب ، وقلباً إلى قلب ، وعيوننا أبداً إلى الأفق البعيد !

*ضجة أدبية حول كتاب لأرتير رامبو :*

أرتير رامبو شاعر من شعراء الرمزية فى الأدب الفرنسى توفى فى أواخر القرن التاسع عشر عام ١٨٩١ ... ولقد كان رامبو صديقاً حميماً لشاعر الرمزية الأول بول فرلين ، حتى لقد تعرضت تلك الصداقة الوطيدة لتجريح بعض النقاد من ناحية السلوك الأخلاق!

ونترك هذه الناحية الشائكة لنقول إن إحدى دور النشر الكبرى فى باريس قد أعلنت فى الأيام الأخيرة عن حصولها على مجموعة شعرية لرامبو ، وأنها على أهبة طبعها لتكون بين أيدى القراء ... ولقد كان معروفاً أن هناك أديباً فرنسياً كبيراً يمتلك هذه المجموعة التى كتبها رامبو بخط يده وتركها بعد موته دون أن تأخذ طريقها إلى المطبعة . ومن هنا أحدث الخبر ضجة كبرى فى الأوساط الأدبية الفرنسية ، حتى لقد تهافت المعجبون بفن رامبو على ألوف النسخ المطبوعة فنفذت فى مدى يومين !

أما النقاد الفرنسيون ، فقد استقبلوا الكتاب بحفاوة بالغة دفعت أحدهم وهو « باسكال بيا » إلى أن يكتب عنه كلمة مستفيضة رفع فيها شعر رامبو إلى القمة من الأدب الفرنسى الحديث ... وحين فرغ الكاتب الفرنسى الكبير « فرانسوا مورياك » عضو الأكاديمية الفرنسية من مطالعة المجموعة تناول قلمه ليكتب مقالا يصب فيه إعجابه البالغ بفن رامبو، ذلك الإعجاب الذى فجر الدموع فى عينيه وهو ينصت لهمسات الشاعر فى كل قصيدة من قصائده!

وفى الوقت الذى هم فيه مورياك بأن يبعث بمقاله إلى جريدة « الفيجارو » أذاع أحد الكتاب الفرنسيين وهو « بيير بريسون » خبراً فحواه أن هناك خدعة كبرى وقعت فيها «المار كيردى فرانس» حين أقدمت على نشر كتاب لا يمت إلى الشاعر الفرنسى بصلة من الصلات ، مؤكداً أن النسخة الخطية التى طبعت لم يكتبها رامبو وإنما كتبها شابان عابثان يسعيان إلى جمع المال عن طريق غير شريف ! واهتزت الأوساط الأدبية الفرنسية تحت وقع الخبر ، وبخاصة حين أعلن الكاتب السريالى الكبير « أندريه بريتون » أن النسخة الخطية التى كتبها رامبو بين يديه ، وأن تلك التى نشرت ما هى إلا تقليد بارع ! وانقلبت الضجة إلى خصومة عنيفة انقسم بسببها الأدباء الفرنسيون إلى فريقين : فريق ينتصر لباسكال بيا وفرانسوا مورياك حين يزعمان أن التقليد لا يمكن أن يسمو إلى مثل هذا الأداء الفنى الرفيع ، وفريق آخر ينتصر لأندريه بريتون وبيير بريسون حين يؤكدان أن الأمر لم يكن إلا خدعة نسجت خيوطها بمهارة !

وأخيراً انتهت الخصومة المنيفة إلى مهزلة ليس لها نظير ... لقد اعترف الأديبان الناشئان بفعلتهما الجريئة ، ذاهبين إلى أنهما لم يهدفا إلى الحصول على المال عن طريق غير شريف ، ولكن هدفهما هو أن يحصلا على شهرة أدبية لا يستطيعان أن يصلا إليها من طريق إسمين غير معروفين ، ولقد دانت لهما تلك الشهرة من جدارة أيديهما بقلبه وقلمه عضو من أعضاء الأكاديمية الفرنسية ... هو فرانسوا مورياك !

قصة فريدة نهديها إلى أدبائنا الناشئين ممن تعرض عن إنتاجهم دور النشر وتوصد المجلات الأدبية أبوابها فى وجوههم .. نهديها إليهم لندلهم على أقصر طريق يصلون منه إلى الشهرة الأدبية وقلوب الناشرين !!

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

رسالتان من « العراق » وكلتاهما من « بغداد » ، أما الأولى فمن الأديب الفاضل عمر عيسى السامرائى بمعهد التربية البدنية وبها سؤال عن بعض ماجاء بكتاب « على هامش السيرة » من آراء متناقضة للدكتور طه حسين ، وأما الثانية فمن الأديب الفاضل إسماعيل محمد السامرائى وبها سؤال آخر عن بعض ماجاء بمسرحية « شهر زاد » من فلسفة لفظية تخالف منطق الواقع للاستاذ توفيق الحكيم ، وسأجيب عن السؤالين فى العدد القادم من « الرسالة » . وهذه هى الرسالة الثالثة من « عمان — شرق الأردن » تحمل إلى معلومات طريفة صبت فى قالب من التهكم اللاذع على ذلك القصاص العامى النابغ الذى قلت عنه إنه درس فن القصة فى كتاب القرية ، ولقد كنت أود أن أثبت هذا التهكم غير أنى تذكرت أن المقصود به أهون من أن يشار إليه بأى لون من ألوان الذكر ، ولذا أعتذر للأديب الأردنى الفاضل أحمد عزيز بيتوغن شاكراً له كريم تقديره . والرسالة الرابعة من « المحرق — البحرين » أشكر لمرسلها الأديب الفاضل مبارك راشد الخاطر حسن ظنه ، وأجيبه بأن رأيى فى شعره هو أن أداءه اللفظى لا بأس به وأن كل ما ينقصه هو العناية بالأداء النفسى ، وتلك ناحية سأعرض لها بالنقد والتحليل فى عدد مقبل من « الرسالة » تحت عنوان « الأداء النفسى فى شعر المهجر » . والرسالة الخامسة من « عدن » يأخذ على فيها الأديب الفاضل على باذيب ذلك الرأى الذى سبق أن أبديت فيه إعراضى عن إخراج كتاب مادام الجمهور القارئ معرضاً عن شراء الكتب ، يا صديقى أنا شاكر لك تناءك العاطر وثقتك الغالية ، أما الإعراض عن التأليف فهو إلى حين ، وليس بمستبعد أن تنتهى أزمة القراء ويتجدد الأمل !

وأنتقل بعد ذلك إلى الرسالة السادسة وهى من « عطبرة — سودان » لأقول لصاحبها الأديب الفاضل مكرم سعيد إننى مقدر له هذا الشعور النبيل المتدفق من كلماته ، ولست أملك إلا أن أستجيب لرغبته فى الأيام المقبلة . وإلى الرسالة السابعة وهى من « الخرطوم — سودان » أيضاً لأقدم خالص امتنانى للأديب الفاضل عبد الرحيم محمد أحمد على تحيته الصادقة ، ولأجيبه عن رغبته فى أن أخص الأدب السودانى بشىء من العناية بأنه يؤسفنى حد الأسف ألا يكون بين يدى من نصوص هذا الأدب ما يمكننى من الكتابة عنه ، وحبذا لو بعث إلى كتاب السودان وشعراؤه بإنتاجهم الأدبى مطبوعاً لأقوم بدراسته وتقديمه إلى القراء . أما الرسالة الثامنة فمن الأديب الفاضل عبد الرحمن السيامى بهيئة الإذاعة البريطانية « بالخرطوم — سودان » ، وفيها يرد على الأستاذ محمد غنيم بمناسبة تخطئته لى حين قلت « لم أكن أعرف » مستشهداً بالآية الكريمة من سورة المدثر « ولم نك نطعم المسكين » إن تعقيبى على هذه اللفتة الموفقة بعد خالص الإعجاب هو أن الأستاذ غنيم معذور لأنه « لم يكن يعرف » : أن التعبير صحيح لا غبار عليه

وتبقى بعد ذلك أربع رسائل مصرية ... الأولى من الأديب الفاضل السيد على الشوربجى الطالب بكلية الحقوق ، وفيها يناقشنى نقاشاً طويلا حول الكلمة التى كتبتها عن أبى العلاء ، يا صديقى أرجو أن تعود مرة أخرى إلى ما كتبت لأن هناك بعض معان قد خفيت عليك ولعلها تتكشف لك بعد التأمل والمراجعة . والثانية حول أبى العلاء أيضاً وهى من جندى فاضل بالجيش المصرى رمز لنفسه بتلك الحروف الأولى من اسمه ( م . ف . ا ) ... أنا شديد الإعجاب بأن يكون بين جنودنا البواسل من يقرأ « الرسالة » ويعشق الأدب ، ويغوص بفكره فيما كتبت عن أبى العلاء ، ويخاطبنى بقوله « سيدى طبيب الأدب ، أنا مؤمن بما جئت به عن الحرمان النفسى والجسدى عند أبى العلاء ، ولكن ماذا تقصد بالحرمان القلبى حين قلت إن قلب أبى العلاء كان يشكو الحرمان من العاطفة مع أن هذا القلب كان عامراً بالعاطفة الانسانية » ؟ ... عزيزى أديب الجيش ، أنا أقصد العاطفة الأنثوية لا العاطفة الانسانية ؛ تلك التى تنسب إلى المرأة وكان يمكن أن تملأ بعض الفراغ فى حياة أبى العلاء . أما الرسالة الثالثة فمن الأديب الفاضل ( م . م س ) بمعهد أسيوط الدينى ، إن ردى عليه هو أنه يستطيع أن يدرس اللغة الإنجليزية وهو باق فى دراسته الأزهرية ، وذلك عن طريق بعض الدروس الخاصة من أحد المدرسين الأكفاء ، وهذا هو الطريق الوحيد الذى يحقق له ما يصبو إليه . وأنتهى إلى الرسالة الرابعة أو الثانية عشرة والأخيرة لأشكر لمرسلها الأديب الفاضل محمد فتحى سعيد بمشهور هذا الإخلاص الرائع للمثل العليا الفكرية ، أما شعره الذى بعث إلى به فأود أن يتعهده بالصقل لأرضى عنه فى المستقبل القريب .

أنور المعداوى

# الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

لسنا أوربيين ولا ماليين :

كتب الأستاذ إبراهيم المصرى فى العدد الأخير من « أخبار اليوم » حديثاً جرى فى مجلس حضره ، بين رجل أجنبى يستوطن مصر وبين شاب مصرى جامعى . حمل الرجل الأجنبى على الثقافة الشرقية ، واتهم العقل الشرقى بالهوس الدينى والتواكل القدرى والتجرد المطلق من الروح العملية ، وزعم أن العلم المادى التجريبى كما تفهمه الحضارة الحديثة دخيل على العقل الشرقى المولع منذ القدم بالأخيلة الدينية .

وقد رد عليه الشاب الجامعى بالتفرقة بين الشرق الإسلامى وبين الشرق الأقصى والعقائد الأسيوية التى تنفر من الحياة وتحتقر العمل وتنادى بخنق الرغبات البشرية ، وقال الشاب إن الحضارة الإسلامية استمدت قواها من الغرب أكثر مما استمدتها من الشرق ، فالعلم العربى مدين للاغريق أكثر مما هو مدين للهند أو للصين أو للشرق الأقصى . إلى أن قال : « فالشرق الإسلامى إذن ليس هو الشرق الذى تزعم . ونحن فى الحقيقة لسنا بالشرقيين الأسيويين الحالمين . نحن من الغرب . نحن أوربيون » .

أعجبنى تفريق الشاب بين الشرق الإسلامى وبين الشرق الحالم المغرق فى العقائد البعيدة عن الحياة العملية ، كما أعجبنى إرجاعه التأخر الملحوظ علينا اليوم إلى سياسة الأجنبى المستعمر وسياسة بعض الإقطاعيين من رجالنا . ولكن الشاب لم يعرّف الشرق الإسلامى تعريفاً صحيحاً ، فليس استمدادنا من أوربا بالذى يجعلنا أوربيين ، كما أن أوربا لم تصبح من الشرق الإسلامى لأنها أخذت منه فى بعض العصور . ونحن لسنا بحاجة إلى ثبات اتصالنا بأوربا أو نسبتنا إليها لننفى عن أنفسنا ما نتهم به من الإغراق فى الخيال والبعد من الحياة المادية وما يسمونه الهوس الدينى . والواقع أن بعض الذى يرموننا به هو الذى ينفى عنا هذه التهم ، وهو النزعة الدينية ، فالدين الإسلامى لم يفصل فى شؤون الحياة بين مادى وروحى يدعو إلى هذا وينهى عن ذاك ، بل هو ينظر إلى الحياة باعتبارها وحدة كاملة ، وليس هو دين عزلة ، بل هو نظام حياة إنسانية وتشريع مجتمع كامل .

والعقلية العربية هى كذلك عقلية عملية ، إلى جانب تمسكها بالقيم الإنسانية والمثل العليا ، فقد كان العربى يصنع الصنم فإذا جاع أكله ، وهذا يدل على العقلية العملية البعيدة عن العقائد الحالمة .

فنحن لسنا من الحالمين ولسنا أوربيين ، وإنما نحن ... نحن عرب مسلمون ، لم تؤخرنا نزعة دينية ولا فلسفة روحية ، وأنا لم يأخذنى أبداً رنين الكلمة السائرة التى قالها أمين الريحانى وهى : « أنا الشرق عندى فلسفات ، فمن يبيعنى بها دبابات ؟ » فالشرق العربى الإسلامى لم تعقه فلسفات عن دبابات ، وإنما العائق ، كما جاء فى مقال الأستاذ إبراهيم المصرى سياسة الاستعمار والإقطاع ، وبالتخلص من هذين يشترى الشرق العربى الإسلامى الدبابات ، لا بما لديه من فلسفات .

فى مسابقة المجمع اللغوى :

أعلن المجمع اللغوى عن مسابقة فى نقد الشعر العربى من منتصف القرن التاسع عشر إلى اليوم .

فهل يريد المجمع الشعر العربى فى جميع البلاد الناطقة بالضاد الممتدة من المحيط الأطلسى غرباً إلى الخليج الفارسى شرقاً ، ومن جبال طوروس شمالا إلى خط الاستواء جنوباً ، بالإضافة إلى إنتاج الشعراء الذين يقيمون فى أمريكا وأوربا ؟

أرجو التكرم بالإفادة ولكم جزيل الشكر .

محمد سيد كيلانى

رجعت لنص المسابقة وهى مسابقة سنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ فوجدته يتضمن أن يجاز بمائتى جنيه « أحسن بحث فى نقد الشعر العربى فى الفترة التى تبدأ فى النصف الثانى للقرن التاسع عشر إلى اليوم — ولا ينقد شعر الأحياء » والواقع أنه موضوع مترامى الأطراف ، وهذه الفترة بالذات زاخرة بالإنتاج الشعرى المتنوع

الذاهب والمختلف الألوان، بل هي تشمل الشعر العربي الحديث كله وهذا الشعر ليس من السهل الحصول عليه أو على نماذج لمذاهبه ومواطنه ، ومراجعه نادرة ، وطرقه متشعبة . وهو الموضوع الذي قررت الجامعة إنشاء كرسي له يسمى باسم « شوقي » ولا تزال حائرة في اختيار أستاذه .

فكيف يوفى ذلك الموضوع في بحث يقدم في مثل هذه المسابقة ؟ إن المجمع ينظم هذه المسابقات لتشجيع الإنتاج الأدبي، ولكن الأمر يكاد يخرج في هذا الموضوع إلى التعجيز عن الإنتاج الأدبي ..

لقد حاولت أن أفهم أن المقصود من الموضوع بحث جزئي لا يخرج عن نطاق الفترة المحددة حتى يكون معقولا ، ولكني رأيت النص لا يساعد على هذا الفهم ، ولو كان هذا هو المراد لما أعيا بيانه لجنة الأدب بالمجمع .

**المرأة :**

تعيش فاطمة مع أبيها المقعد في الإسكندرية . يتهدم المنزل الذي يقطنانه وهي في المدرسة ، فيذهب بأبيها ولا عائل لها سواه ، فتتوجه إلى القاهرة حيث أمها متزوجة من رجل آخر . يرحب بها زوج أمها ويتودد إليها توددا مريبا ، ولما تقف على حقيقة نواياه تغادر منزله ليلا ، وتنقذها الحاجة محروسة من يد الشرطي الذي اشتبه فيها ، وتأخذها إلى منزلها وتكرمها . والحاجة محروسة هي « ملكة البسبوسة » التي تبيع هذا الصنف من الطعام وأمثاله لعمال مصانع الزجاج الأهلية . تعيش فاطمة في منزل الحاجة محروسة اللاصق لمنزل يسكنه أخوان من عمال المصانع هما محمود وفريد، يشاهد كل منهما فاطمة وهي تغني في نافذة مقابلة لنافذتهما ، فيحاول كل منهما أن يظفر بها ، يخطبها فريد من الحاجة محروسة ، ولكنها تحب محموداً . ولما يعلم محمود بالخطبة يحزن ويذهب إلى مرقص ليتسلى هناك ، وتأتي إليه نجمة الراقصة ويشربان معاً ، وتوصله إلى منزله وهو ثمل ، ويراها عنده أخوه فريد، ويدور حديث بين الأخوين يقول فيه فريد لمحمود إنه تنازل له عن فاطمة لما عرف أنها لا تحبه ولم يكن فريد صادقاً في ذلك وإنما كان يدبر أمراً ، اتفق مع نجمة الراقصة على أن تذهب إلى أخيه محمود بحيث تراها عنده فاطمة . ويظل الأخوان يتنازعان إلى أن ينتهز فريد فرصة صعود أخيه على آلة عالية في المصنع فيعبث بأسفلها حتى يسقطه ، وينقل محمود إلى المستشفى، وتذهب

## كشكول الأسبوع

□ جاء في مجلة المصور أن خليل مطران أول من دعا إلى إقامة أول حفلة تأبين وأول حفلة تكريم في مصر ، وكان ذلك في تأبين البارودي في اليوم الأربعين من وفاته ، وفي تكريم الشيخ سلامة حجازي . ومما يؤسف له أن أحداً لم يفكر في إقامة حفلة لتأبين مطران وقد مضى على وفاته أكثر من أربعين يوماً ، فأين الذين كانوا يقيمون له حفلات التكريم في حياته ؟

□ ظهر « البلاغ » مساء الخميس الماضي وعلى رأس صفحته الأولى العنوان التالي بالثلث : « بريطانيا وأمريكا تؤيدان رفع الحظر على إصدار السلاح إلى الشرق الأدنى لأنه أصبح غير ذات موضوع » ويخيل إلى أن المحرر الذي اقتبس « غير ذات موضوع » من تعبير لطفي السيد باشا عن المعاهدة ، نزهو براعته في هذا الاقتباس من المؤنث للمذكر دون تغيير !

□ من أنباء ( روتر ) بباريس أن السيد مصباح صلاح نائب رئيس المجلس الجزائري أعلن أنه يدعو فرحات عباس محرر صحيفة الجمهورية الجزائرية إلى المبارزة لأن مقالة بالصحيفة تضمنت طعناً فيه .

وأذكر بهذه المناسبة ما حدث بمصر منذ شهور في مبارزة السيف العالمية ، إذ تقدم اللاعب الإيطالي الفائز من اللاعب الفرنسي المهزوم ليصافحه ، فصفع الثاني الأول . ولم يذع نبأ هذا الحادث إذ ذاك لا روتر ولا غير روتر .

□ نشرت « آخر لحظة » أن محمد محمود خليل بك رئيس جمعية محبي الفنون الجميلة في مصر ، عهد إلى خمسة من المثالين الفرنسيين أن يصنع كل منهم تمثالا لمحمد على باشا الكبير ، على أن يختار أحد التماثيل الخمسة ليوضع في ميدان محمد على بالقاهرة ، ويأخذ كل من المثالين أجره من الحكومة المصرية سواء اختير تمثاله أم لا . وهي مجاملة مؤسفة على حساب الممول المصري والفن المصري .

□ أهم المعروضات الفنية التي أخذت من مصر لعرضها في « معرض مصر — فرنسا » من الآثار الفرعونية ، وهذه ليست في حاجة إلى دعاية ، فقد شبعنا من تنويه الأجانب بها ، أما الجدير بالاهتمام في هذا المجال فهو الأعمال الفنية المصرية الحديثة .

□ تفتتح الإذاعة العربية الباكستانية يوم ١٤ أغسطس الحالي ، وهو يوم عيد استقلال الباكستان ، وقد أعد له برنامج حافل يحتوي على كثير من المسجلات في مصر

□ رأت رابطة الأدباء من الإنسانية أن تريح الناس من محاضراتها في هذا الحر ، عملا باقتراح وكيلها الأستاذ مبارك إبراهيم .

□ تذيع محطة الشرق الأدنى في برنامج المرأة ، مختارات مقتطفة من كتاب جديد مرتين في الشهر .

□ تناقلت الصحف والمجلات المصرية في هذا الأسبوع ، أن كاتبين يابانيين سيقومان برحلة في الشتاء القادم إلى الشرق العربي ، ومن أغراضهما اختيار بعض المؤلفات المصرية الحديثة لترجمتها إلى اليابانية ونحن بدورنا ننقل هذا الخبر ، والعهدة على الأصل .

إليه نجمة الراقصة ، فتدرك من حديثه إليها أن أخاه هو الذى دبر إسقاطه ، فتصر على إبلاغ ( البوليس ) ويسمعها فريد ، فيلقاها فى ممر بالمستشفى ويطعنها بسكين ، ويفر ثم يقبض عليه . ويشفى محمود وتأتى إليه فاطمة فيخرج بصحبتها من المستشفى مسرورين .

ذلك هو ملخص قصة فلم « المرأة » الذى عرض لأول مرة فى سينما أوبرا بالقاهرة ، والقصة من وضع عبد الفتاح حسن ومحمود السباع ، والأول هو مخرج الفلم ، واشترك الثانى فى التمثيل وهو فى الفلم (فريد) ومثل كمال الشناوى (محمود) وأحلام ( فاطمة ) وسميحة توفيق ( نجمة ) ومارى منيب ( الحاجة محروسة ) .

والقصة كما ترى تدور على نزاع أخوين على امرأة ، وهى قصة عريقة فى القدم ، قصة ابنى آدم هابيل وقابيل . ولننظر كيف عولجت فى هذا الفلم ، ولكن أرانى أمام أمر آخر هو ولا شك أهم من موضوع القصة فى نظر العاملين فى إعداد الأفلام المصرية ، ذلك هو استخدام مميزات فى الممثلين وتطويع الحوادث لإبراز هذه المميزات ، ممنا الآن : صوت أحلام ، ووسامة كمال الشناوى وظرف مارى منيب ، ورشاقة سميحة توفيق . أما أحلام (فاطمة) فنراها فى أول الفلم تلميذة فى مدرسة ، فلا بد إذن أن تكون مدرسة موسيقى لتغنى فى ( الفصل ) أغنية تتضمن التنديد بظلم الرجل للمرأة ، وهى أغنية لا مناسبة لها ، وهى أيضاً تافهة فهى تلخص ظلم الرجل للمرأة فى أنه يريدها عالة عليه ! ثم تقول إنها لا بد أن تطالب بحق الانتخاب ، وهنا تضم أحلام أسفل قبضة يدها اليمنى على كفها اليسرى وتحركها لغيظ الرجال وإشعارهم بحرقة الفلفل ! وهى حركة غير لائقة ، وهى كذلك بائخة .

وفى أحد المناظر يقال إن فاطمة ذهبت إلى أمها بحلوان ، ثم تظهر فاطمة فى حلوان لا مع أمها ولا فى منزلها بل فى حديقة كبيرة ، وذلك لتغنى أحلام بين الأشجار والأزهار فى حديقة حلوان التى خلت لها ... أرأيت حديقة عامة تخلو لمطربة كى تغنى فيها وحدها .. ؟

وأحلام مغنية ذات صوت جميل ، ولكنها فى الفلم تغنى بطريقة واحدة فى المواقف المختلفة ، ولا ينسجم غناؤها مع الحوادث ، فتشعر كأنها تغنى ربما يتيسر تتابع المناظر . وقد أجادت تمثيل البنت المسكينة ، وهى تصلح للادوار التى تستحق فيها العطف لا الحب .

أما كمال الشناوى فله نصيب الأسد فى هذا الفلم ، فقد طغى على من معه من الممثلين ، وهو الفتى الأول فيه ، وتسير به القصة على أنه البطل الجميل المحبوب الخير ، وأخوه مكروه لا تستخف البطلة ظله فلا بد أن يكون مرذولا يدبر الأذى حتى يقع فى شر أعماله . قد يقع هـذا فى الحياة وقد لا يقع ، ولكنه لازم فى أكثر أفلامنا المصرية .

وأما مارى منيب فقد اختيرت « ملكة للبسبوسة » وملجأ لفاطمة ، ولكثرة قيامها بمثل هذا الدور فى الأفلام المختلفة أصبحت ذات شخصية تتميز بالظرف الشعبى الأصيل ، وهى كذلك فى هذا الفلم ؛ أما علاقة فاطمة بها فهى عجيبة ... امرأة ترتزق من صنع البسبوسة والكنافة والمهلبية ، تؤوى فى بيتها فتاة لا عمل لها إلا الغناء فى الشرفة ، كأنها تعدها خاصة لمنازلة محمود إياها وليتنازع عليها الأخوان !

وأما سميحة توفيق فقد قامت بدور الفتاة اللعوب فأجادت فى هذا الدور أكثر من تأديتها لدور الفتاة المحبة المضحية ، فقد كانت متكلفة فى هذا ، كما كانت متكلفة فى الأغنية التى غنتها ، والأغنية نفسها سخيفة ، فهى تغنى لحبيبها فتقول : « يا خرابى عليك ! » وفى هذه الفتاة حيوية وقدرة على التعبير ، ويلمح الشاهد مواهب فيها لم تظهر ، لأنها لم تستغل ، فى هذا الفلم .

وأظهر شىء فى الفلم مجافاته للواقعية ، لحياة العمال ومساكنهم وملابسهم وسائر مظاهرهم لا تقل عن أمثالها فى حياة العمال بأمريكا ! وتصور أن منزل الحاجة محروسة بائعة البسبوسة بأشجار وأزهار تفرد بينها أحلام !

وعهدنا بالمراقص الكبيرة أن تكون مراداً للاغنياء والوارثين ولكنا نرى رواد المرقص الفخم فى هذا الفلم ، ومحط أنظار حسانه الفاتنات ، من عمال مصانع الزجاج الأهلية ..

ومن مآخذ القصة أن والد فاطمة بدا فى أول منظر شيخاً ضميناً مقعداً ، فهو لا يكسب شيئاً من عمل يزاوله ، ويدل منظره وحالته فى المنزل وأثاثه على معيشة لا بأس بها ، فلا بد أن يكون له إيراد ما ، وتهدم المنزل لا يذهب إلا بالرجل وأثاثه ، ولكنا نرى ابنته شريدة لا تجد قوتها ، فأين مصادر الإيراد التى كان يستمد منها أبوها ؟

**عباس خضر**

## البريد الأدبي

### نعى خليل مطران في جريدة الهدى التي تصدر في نيويورك :

رب القريض وسيد القلم     وفيت قسطك للعلى فنم

هذا البيت الجامع الذي عبر به المطران عن شعور العالم العربي نحو اليازجي يصح فيه .

بل إن الشعور بفقد خليل مطران أوفر شمولا وامتداداً لأن العالم العربي أصبح أعظم اتساعاً بعد أن انتشر أبناء العربية في مشارق الأرض ومغاربها وهم لما يزالون أوفياء بمهد أوطانهم الأولى ، والرعيل الأول منهم شديد التمسك والمفاخرة بوطنه الأم

ومعظم المهاجرين من متكلمي اللغة العربية هم من اللبنانيين . وخليل مطران يمت إليهم بصلة نسب ؛ لأنه رأى النور في ظلال بعلبك : مدينة الشمس ومهبط الوحي العلوي في مسارح الفن والجمال . إلا أن خليلا من الهبات التي جاد بها لبنان على العالم ، فصار لا شاعر القطرين فقط بل شاعر الأقطار العربية . وكان للقطر الشقيق مصر الفضل الأكبر في إفساح المجال لإنماء مواهبه وتجلي عبقريته . فأفضلت مصر بذلك على عالم العروبة بأجمعه .

وقد رأينا من شواهد المنزلة العليا التي يحتلها خليل مطران في عالم العروبة بشتى فروعه ما كان من إجماع الرأي في العالمين : القديم والجديد على تكريمه في ذكرى يوبيله الذهبي الذي وافق الاحتفال به في السنة ١٩٤٧ . ففي مصر جرى الاحتفال الرائع في دار الأوبرا الملكية برعاية جلالة الملك ، وأقيمت في نفس الموعد احتفالات متشابهة في سائر الأقطار العربية ، كما أقيمت حفلة في نيويورك برعاية جريدة الهدى وبحضور الأستاذ إميل زيدان صاحب الهلال ومندوب لجنة التكريم المركزية في القاهرة ، وبمشاركة عدد كبير من رجال الأدب من مقيمين وزائرين ، ومن ساسة العرب وفي مقدمتهم فارس بك الخوري .

وما دمنا قد أكرمنا خليل مطران حيا ، اعترافاً برفيع أدبه وعميم فضله فأحر بنا أن نشارك العالم العربي في تكريم ذكراه برهاناً على شدة شعورنا بألم خسارتنا إياه . وحقاً إن الخسارة بالغة والألم شديد ، وإذ نحن نقوم بواجب الذكرى فإنما نقدم على ذلك عن شعور صميم .

وما هذه بالمرة الأولى التي تنهض بها جريدة الهدى للقيام بالواجب نحو أدباء أفذاذ أفضلوا على عالمنا بما خلفوا فيه من آثار خالدة من نتاج الأدب . وإذا نحن لم نذكرهم جميعاً فنكتفي بالإشارة إلى شوقي وحافظ والبستانيين عبد الله وسليمان الذين كانت حفلة تكريم ذكرى كل منهم مجلى لأبدع نتاج الأدب وأجمل مظاهر الشعور الصافي بين المهاجرين .

وقد خاطبنا في أمر الحفلة التأبينية لخليل مطران طائفة من الأدباء ، فأجمعوا على إقامتها في موعد الأربعين الموافق اليوم العاشر من شهر آب القادم . وكان في طليعة المحبذين الأديب المصري الكبير المقيم بيننا الآن في نيويورك الدكتور أحمد زكي أبو شادي الذي كتب إلينا في الموضوع يقول :

« إن قيمة العالم العربي في شاعره العبقري النبيل لأعظم من أن تصور . وما الغاية من التأبين إلا الاعتراف بالجميل واستخلاص العظات والدروس الملهمة من حياة مجيدة ، وإذا كانت مصر ولبنان تتنافسان في نسبة الفقيد العزيز إلى ربوعهما فلا مشاحة في أن لبنان — مسقط رأس مطران — أحق برعاية تأبينه وإن كانت مصر قد تصدرت لطبع آثاره ودواوينه » .

وقد تلطف الدكتور أبو شادي بقبول تولي سكرتيرية لجنة حفلة التأبين ، كما كان قد تلطف بتولي عرافة حفلة التكريم التي أقيمت للفقيد في نيويورك منذ سنتين يقيناً بأن علينا جميعاً واجب التآزر والتعاون في تكريم النبوغ في ذويه وقد كان الخليل في الطليعة .

### في النقد الأدبي :

تتجه مراقبتنا إلى الناقدين في هذه الآونة ؛ فلم نجد صراحة التنزه عن الملاءة ، فإقامة الإطراء تفيض على النتاج ما يباعد بينه وبين المؤاخذة ، وإذا كان العمل الأدبي الفذ أساسه « التعبير عن الحياة » ؛ فقد نأى التذوق عن تبيانه على أسلوب قوام مقسط بعيد عن التحامل والدخل !

وإن منهج « النقد الأدبي » يقوم على « الفهم ، والأناة ، والإلمام والموازنة » ، لكن أداته لم تعد ذات جلال لانحرافها عن القصد إلى الغاية ؛ فالوساطة قد تغلغلت في حياتنا حتى شملت حاسة الضمير فأبدلته وأثرت في حكمه ، وألفت رقابته التي لها القول

الفصل في الحكم على الأمور .

وأدب القصة لون بلون « التجربة والخبرة » ؛ لأنه يصور الحياة تصويراً دقيقاً ؛ فينقل المشاهدات في عبارات تختلف قرباً وبعداً على قدر الملابسة « النفسية » لموضوع القصة .

ورسالة القاص يجب أن تلم إلماماً شاملا بمعنى « التجربة » حتى يجيء عمله الفني صورة حية مشخصة أمام باصرته ، على ألا يوغل في الخيال الجزافي أو الاسترسال المسرف ، استدناء لميول « شعبية » ، أو استثارة لغرائز بدائية .

نقول هذا بعد قراءتنا قصة للرجل الملهم الأستاذ « توفيق الحكيم » ... أسماها « ليلة الزفاف » . وحسبك أن ترى في العنوان سمة استمالة الغريزة ، لكنك ستري تصويراً لرجل « مثالى » أضفى عليه الخيال الحكيم ما باعد بينه وبين البشرية ، حتى كاد أن يلحقه بالتجريد ، ويدنيه من خلائق النبوة ؛ وإن تلك الصورة — الوهمية — على ما فيها من تجاف عن الواقع « في الحياة » ، تدلنا على مدى رغبة القاص في السمو بالمعاني الروحية ، ومجانبة الماديات ، لكنها في الوقت نفسه تثير الغريزة الفوارة بالجسدية عن طريق أسلوب العرض القصصي استجابة للميول « الشعبية » التي أشرنا إليها .

ولقد صوّرت لنا صورة « البطلة » أنها تنام على وجهها (كذا !) ثم تحتضن الوسادة . فهل يرضى الفن الرفيع أن يعبر رجل أصيل في التعبير الأدبي السامي : « وطوقته وضمته ... وإذا هو يجد نفسه في مكان الوسادة التي اعتادت أن تحتضنها ليلا ! »

كان يمكن للحكيم أن يقول : « ودنت منه ... ثم سبحت روحاهما في سماء الحب القدسي » ... لكنه تعبير شعبي آثره ، وليس هذا فيما نعتقد الرمز الصادق لما يسمونه « الأدب الواقعي »

« بور سعيد » أحمد عبد اللطيف بدر

### تعليم اللغة بدراسة الأساليب:

حضرة المحترم الكاتب النابه الأستاذ عباس خضر

قرأت كلمتكم السامية بالرسالة الغراء عن تعليم اللغة بدراسة الأساليب . وقد كنت أرقب من حين إلى حين الكتابة عن هذا الموضوع الحيوي الذي يتصل بقوميتنا وحياتنا إتصالا قوياً .

ولقد راقني جداً الإحاطة بالموضوع من جميع أطرافه ، فشفيت نفسي ، وأثلجت صدري ، غير أني أحب أن أزداد فهماً لمعرفة استخلاص قواعد اللغة العربية من الأساليب ؛ فإنك مع تعليقك عليها لم تشف غليلي ، وتنقع غلتي ، لأنك أتيت بتفسير من عندك وكان ينبغي لك أن تأتي البيوت من أبوابها ، تسأل حضرات المفتشين عن المراد من تعليم القواعد بالأساليب ؛ لأني رأيتك تتكلم عن القواعد باعتبار ما كان . حتى أنك قلت : « ولا تزال مناهج المدارس في اللغة العربية مثقلة بهذا النحو ، وخاصة في المدارس الابتدائية . فالطفل في السنة الثانية مكلف أن يعرف الفاعل والمفعول به والمبتدأ والخبر ومطالب بتكوين جمل ... » .

وفاتك أن تعلم أن تلميذ السنة الثانية غير مكلف بمعرفة الفاعل والمفعول به ولا بمعرفة تكوين الجمل ، فقد حذف النحو من منهجه ، وصار يتعلم اللغة بالأساليب من غير استخلاص القواعد

والواقع أن اللغة العربية في أمر مريج وقلق شديد ، فمناهجها في تغيير دائم ، فقد يغير المنهج في العام الدراسي الواحد مرتين أو أكثر — كما حصل في هذا العام — وبجوارها اللغة الإنجليزية لا تغير مناهجها إلا في فترات مختلفة متباعدة .

ومنهج اللغة العربية لو اطلعت عليه لوجدته عجيباً غريباً يدعو للسخرية والابتسام ، فالمدرس مكلف — كما تعلم — أن يستخرج القواعد من الأمثلة أو بتعبير أدق من الأساليب ، ولكن الكتب المقررة لا تفيد المطلوب ، ولا المنهج نفسه يعين على الاستخراج والاستنباط .

فتلميذ المدارس الابتدائية حدد له منهج في اللغة العربية يبدأ بمعرفة المبتدأ والخبر فكيف يستنبط المبتدأ ويعرف أنه اسم وهو لم يعرف الاسم والفعل والحرف ؟ ثم يطالبه المنهج بالمطابقة بين الخبر والمبتدأ وهو لم يعرف علامات الإعراب : الأصلية والفرعية ثم يطالبه بالإعراب والتلميذ قد حماه الله من المعرب والمبني ، ثم يطالبه بالمطابقة بين الحال وصاحبها والصفة والموصوف ، وهو لم يطالب بمعرفة النكرة والمعرفة ، ليفرق بين الحال والصفة ، إذ الحال ينبغي أن يكون صاحبها معرفة إلى غير ذلك من الأشياء المتناقضة المتمادية ، فليس يكفي أن تقول استخلاص القواعد من الأساليب ونسكت ، بل يجب أن يبين لنا الأستاذ العميد الطريقة فالأبواب المقررة على التلميذ معلقة بين السماء والأرض . لا تستند إلى شيء ، ولا تقف على أساس .

وما تلك الأساليب ؟ أهى أساليب عصرية أم قديمة ؟ فاللغة العصرية الموضوعة أمام التلميذ إما مفتعلة متكلفة وضعها الواضع للصغار وقد خلت من الرونق والبهاء وإما مختارة من شعراء وكتاب كشوقى وحافظ والمنفلوطى ، ولغتهم أعلى من إدراكه ، وإذا كانت الأساليب المشار إليها قديمة فتلك أدهى وأمر ، فأنت أيها الأستاذ فى حيرة منى ، فالنحو فى المدارس قد بتر بتراً ، والأساليب غير كافية وغير شافية . فماذا نصنع للابقاء على تلك اللغة والمحافظة على رونقها وبهائها ، لقد أبغضنا النحو والإعراب وحيل بين التلميذ والرياضة الذهنية — كما كان يقال — فماذا يقدم له حتى يجد من نفسه لنفسه دافعاً يدفعه إلى العناية بها ، والتعلق بآدابها ؟

أما أنا فمتشائم ؛ لأن إهمال النحو سيعطى للتلميذ فكرة خاطئة بجانب فكرة خاطئة سابقة فهو سيعتقد أن اللغة محفوظات ومطالعة وإنشاء لا بالمعنى الذى نفهمه نحن ، وإنما بالمعنى الذى يفهمه التلميذ ، فأى قصيدة تكفيه ، والمطالعة فيها تسامح ، والإنشاء أى كلام ينفع لأن اللغة العامية لغة عربية ، وصدقنى أن بعض المدرسين لا يتورع من وضع الدرجة على اللغة العامية ما دام المعنى مستقيماً . وبجانب ذلك قد تعلم اللغة الأوربية تعلماً صحيحاً ودرسها بعناية ، واهتم بها ليله ونهاره ، فهو يتلقاها نقية من العامية ، ويتمرن عليها بجد واجتهاد ، أما اللغة العربية فتأتيه بعاميتها ، ويقبل عليها من غير اهتمام ؛ لأنه سينجح فيها اهتم بها أو لم يهتم ، وهذه نهاية محزنة ، وخطب جسيم يجب أن نتحاشاه فالواجب إذاً أن يوضع المنهج وضعاً جديداً يلائم بين أبواب النحو حتى يفهمها التلميذ فهماً تاماً ونقدم إليه أساليب جيدة تختار بعد تمحيص وتنقيب .

فاليك أيها الأديب الغيور كلمتى راجياً منك أن تعاود الكتابة فى ذلك الموضوع حتى تصل إلى حل يرضى المفتش والمدرس والتلميذ .

السيد حسن فرود

المدرس بسوهاج الابتدائية للبنات

## رد على معترض :

قرأت فى العدد ( ٨٣٣ ) من الرسالة الزاهرة كلمة فى البريد الأدبى بتوقيع السيد راتب يحيى الشامى . يعترض بها على فقرتين من كلمة سبقت لى فى الرسالة بعنوان « ثلاثة جاهدوا فصدقوا » .

وفيما يتعلق بتينك الفقرتين أنبه المعترض الكريم إلى أنه حين يدقق النظر فى الكلمة نفسها يجد جواب ما يتساءل عنه فى ثنايا الكلام .

على أن الذى عجبت له أن يعرف هذا السيد ( الشامى ! ) أننى من « الساط من شرق الأردن » ثم لا يعرف إلى جانب هذه الحقيقة — التى لم أنكرها يوماً — أننى مواطن فى فلسطين منذ ما ينيف على الأربعة عشر عاماً أساهم فى التوجيه الثقافى طيلة هذه الفترة من الزمن . ولقد طوفت فى مختلف أنحاء البلاد زائراً أو محاضراً ، فتعرضت إلى النفر المثقف من أبنائها . ولعلى لا أبالغ حين أزعم أن الكثيرين من هذا النفر الطيب يعدوننى فى معارفهم إن لم أكن فى أصدقائهم . .

ولقد عجبت أيضاً ان يفوت هذا السيد ( الشامى ! ) — إلى جانب ما عرف — أننى منذ سبع سنوات أحاضر من محطتى القدس والشرق الأدنى ، ثم من محطتى دمشق وبغداد ( بعد ذلك ) عن الأدب والأدباء فى فلسطين من قديم وحديث ، حتى انتهيت من ذلك كله إلى أن أضع كتاباً بعنوان « الأدب فى فلسطين » وأن أنشر فى مجلة الرسالة الزاهرة ما يزيد على عشرة فصول منه ، دون ان اجد من يعترض على ما كتبته أو حاضرت به من أدباء البلاد وأبنائها !!

ثم لا أدرى أخيراً كيف فاته أن يعلم أن إدارة المعارف الفلسطينية انتدبتنى للعمل فى معاهدها بفضل هذه المواطنة التى أشرت إليها آنفاً .. فهل ترى يا أخى المعترض بعد ذلك كله ؟ «أن معرفتى بجغرافية فلسطين وأهلها (على رأيك) محدودة جداً »

فإن كان ( خطبك ! ) — يا أفادك الله — يقف عند حدود الإشفاق على جغرافية فلسطين ( وليس غير ؟ ) فليفرخ روعك ، ولتعلم أنى ما تحدثت عن مكان إلا وقد وطئته قدماى ، ولا ترجمت لأديب إلا بعد روية وتبصر واطلاع على ما تصل إليه يدى من آثاره . ثم إن الذى نشرته ( أو أذعت به ) فصول من كتاب ، وأن فى الكتاب ما يفتقده من تتبع تلك الفصول .

ومع ذلك فلن يضيرنى أبداً ان أجد من يأتى بأوفى مما أتيت به ، ويصنع أكمل مما صنعت . فما أنا وذاك إلا خادماً حقيقة ، لا نستوفى عما نصنعه أجراً ، إلا أن يكون من مثل هذا الإعجاب الذى كتمه فؤادك ونم عليه قلمك !

محمد سليم الرشدان

## الكتب

# البلاغة العربية فى دور نشأتها

تأليف الدكتور سيد نوفل

بقلم الأستاذ على العمارى

هذا الكتاب يؤرخ الدور الأول للبلاغة العربية ، وقبل أن أتحدث عنه أحب أن أقول إن البلاغة العربية تنوء بظلم فادح ، فكل فن ينال قسطاً غير يسير من عناية العلماء ، وهى وحدها التى ظلت قروناً عديدة تضطرب فى دائرة ضيقة من قواعدها السكاكية ، فدراستها فى معاهد التعليم على اختلاف أنواعها فى مصر وفى غير مصر لا تبعد كثيراً عن هذا المنهج القديم ، والتأليف فيها مشدود إلى هذا المنهج نفسه بأمراس كتان ، حتى الطريقة الأدبية التى عنى بها بعض العلماء ، وخصوصاً قبل عصر السكاكى لا تنال حظها من الدراسة والتأليف ، ولهذا فكل كتاب يؤلف فى علوم البلاغة على نمط جديد نعتبره خدمة جليلة لهذه العلوم ، والكتب المؤلفة فيها محدودة تعد على أصابع اليدين وبعضها لا غناء فيه ، فلا تزال البلاغة العربية مجاهل يسلكها طلاب المعرفة من غير دليل ، ويعتسفون مثانيها ومحانيها على غير هدى ، ولا بد من جهود جبارة ومن عمل دائب ، مع إخلاص وصدق حتى أن تقعد على أسس قويمة خالصة من تلك الشوائب الكثيرة التى تعقد مسائلها ، وتعكر مناهلها .

والكتاب الذى نحن بصدد الحديث عنه عالج شأناً من شئون البلاغة المهمة ، عالج البلاغة فى إبان نشأتها ، وتحدث عنها وهى فى لفائف المهد ، تباركها أيد قليلة ، وتربت عليها برفق وحنان ، وتغذيها بما تستطيع أن تقدمه لها فى تلك العهود البعيدة . والكلام فى تاريخ نشأة البلاغة ليس حديث عهد بالدراسة ، ولكن أقلاماً تناولته ، وأظن أن أول من تناول هذا التاريخ صاحب المعالى الأستاذ الشيخ على عبد الرازق فى كتاب أسماه ( الأمالى ) ومن الذين كتبوا فيه الأستاذ الشيخ أمين الخولى أستاذ البلاغة العربية فى الجامعة المصرية فى كتابه ( فن القول ) . وقد قرأت رسالة فى هذا الموضوع للأستاذ الشيخ أبى الوفا المراغى مدير المكتبة الأزهرية . غير أن الدكتور نوفل زاد على هؤلاء أنه ركز موضوعه فى البلاغة عند الجاحظ ، والكتاب مقسم إلى قسمين : القسم الأول تحدث فيه عن البلاغة قبل عصر الجاحظ ، وقد سجل فيه جهود العلماء والأدباء والمتكلمين والمعلمين ومجالس النقد فى نشأة البلاغة ، والقسم الثانى تحدث فيه عن جهود الجاحظ فى البلاغة ، وهذا القسم يعتبر جديداً ، ويا حبذا لو اقتصر المؤلف على هذا القسم ، فإنه موضوع بكر ، وقد بسط القول ووفاه ، ولو سمى كتابه ( البلاغة عند الجاحظ ) لأصاب المحز ، وطبق المفصل — كما يقولون — على أن القسم الأول من كتابه جاء تكراراً لما كتبه العلماء ، وفيه بسط يعتبر من فضول القول ، فقد أخذ الأستاذ على نفسه أن يترجم لكل من له حكمة فى البلاغة أو إشارة إليها من قريب أو بعيد ، ترجم لأبى بكر وعمر ومعاوية ، وترجم للعتابى وسهل بن هرون وشبيب بن شبة وعبد الحميد وابن المقفع ، وجعل كلا منهم فى فصل مستقل ، وكان يمكن أن يكتب فصلا يذكر فيه آراء هؤلاء فى البلاغة ، ومدى تأثير هذه الآراء فى نشأة علومها ، وهل يترجم لواصل بن عطاء لأنه ألف كتابين يحتمل أن يكونا فى البلاغة ، أو لأن الجاحظ نسب إليه العلم بأن الخطابة فى حاجة إلى البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة ؟ فإذا تجاوزنا الرجال إلى الموضوعات وجدنا فصولا لا حاجة بالكتاب إليها كالفصل الذى عنوانه ( العصر الجاهلى ) ولو نقل منه كلمة أكثم بن صيفى ، واصطناع الكهان للسجع إلى الفصل السابق لاستغنى عن هذا الفصل ، وكذلك الفصل الذى يليه لا حاجة إليه ، وما دخل حديث القرآن أو الرسول عن البيان فى نشأة البلاغة وليس فيه مما يمس البلاغة إلا الحديث عن مذهب الرسول فى القول ، وهو كلمات ، ولو أنه صح لنا أن نرسم للمؤلف المنهج لقلنا : إن القسم الأول الذى ينتهى بصفحة ٩٢ كان يكفى فيه عشر صفحات ، فصل يجمل فيه القول من أثر النقد فى البلاغة ، وأظن المؤلف لن يزيد شيئاً

عما كتبه الدكتور طه ابراهيم فى كتابه (تاريخ النقد عند العرب) — كما فعل — مع شيء كثير مما لا حاجة إليه ، وفصل يتحدث فيه عن المدارس التى درجت البلاغة فى ظلها ، ويكتفى فى هذا الفصل بجهود المتكلمين واللغويين والنحاة والأدباء . أما الفصل الثالث فيتتبع فيه آراء السابقين للجاحظ فى البلاغة ، ويترجم لاثنين منهم أو ثلاثة كأبى عبيدة ، ثم يتحدث عن كتابه ، وكل هذا لا يستغرق عشرين صفحة ، وقد استغرق فيه المؤلف ثمنين صفحة !

على أن المؤلف فاته أن ينوه بأثر عالمين جليلين فى البلاغة ، وهما من أوائل العلماء قولا فيها ، أحدهما الخليل بن أحمد وقد تحدث عن الجناس والمطابقة والاستعمال المجازى ، والآخر سيبويه وقد تحدث فى (الكتاب) عن مجاز الحذف ، وعن التأخير والتقديم ، إلى مباحث أخرى تمس البلاغة .

أما القسم الثانى ، فهو لب الكتاب ، وقد جمله المؤلف بيت القصيد فى كتابه ، فإنه قال فى المقدمة : « ولما كان الجاحظ هو مؤسس علم البلاغة العربية وجامع مسائلها لم يكن مناص من اتخاذه الأساس الأول لهذه الدراسة » . وقد وفق كل التوفيق فى دراسة البلاغة الجاحظية وبلغ الغاية ، ولا علك إلا الثناء المستطاب على هذا الجزء من الكتاب ، ولو أردنا أن نصور عمله لما وجدنا أوفى من تصويره هو لجهوده قال : « ولما كان — ريد الجاحظ — أكثر معاصريه استطراداً ، وأبعدهم عن مراعاة النظام فى التأليف ، فقد كان من العسير على من يبحث موضوعاً عنده أن يركن إلى كتاب معين ، وكان لا بد لدارس بلاغته من قراءة جميع كتبه ، وجمع المتفرق فيها ، والمقابلة بينه وتفسيره ، إذ كثيراً ما يبدو متناقضاً ، وهذا ما صنعت ، قرأت ما بأيدينا من كتبه ، وجمعت النصوص التى ورد فيها ذكر البلاغة أو أى اصطلاح من اصطلاحات علومها ، أو لفظ من ألفاظها ، أو معنى من معانيها ، وحاولت أن أصور هذه الاصطلاحات كما تدل عليها تلك النصوص المبعثرة » . ولم يفته أن يتحدث عن بعض معاصرى الجاحظ وعن بعض الذين جاءوا بعده ، وإن كان حديثه إشارات عابرة .

وقصارى القول فى جملة هذا الكتاب أن الجزء الأول منه سابغ فضفاض ، وكان من الواجب أن يركز ويقتصر فيه على الأغراض الرئيسية فى الموضوع . أما الجزء الثانى ، فقد بلغ فيه الغاية ، أجاد وأفاد ، لكن بقيت لنا تفصيلات نحب أن تراجع المؤلف فيها ونطرحها للبحث والدراسة ، وسنغض الطرف عن الأغلاط الجزئية ، وإنما نتناول مسائل ذات أهمية :

١ — تحدث المؤلف عن قصة نقد النابغة لحسان بن ثابت فى بيته المشهور :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى    وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وما كان من قول النابغة له : أقللت جفانك وأسيافك ، وقلت يلمعن بالضحى ، ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ فى المدح ؛ وقلت يقطرن من نجدة دما ، ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم ؛ ثم يقول المؤلف : « وقد يقال إن هذه الروايات ضعيفة — على ما قرر ابن رشيق من شهرة حديث النابغة ، لكنها تلائم طبيعة الحياة الفنية ، فيمكن الاطمئنان إلى وقوعها » .

ونقول إن الحديث مشهور ، ومشهور كذلك أنه موضوع ، ولسنا نلف وندور ، ولكنا نضع هنا قول الدكتور طه ابراهيم فى هذه القصة ، فلعل فيه بلاغاً ؛ قال بعد ذكر هذه القصة واختلاف وجوه النقد فيها : « وكل ذلك تأباه طبيعة الأشياء ، وكل ذلك يرفض رفضاً علمياً من عدة وجوه :

١ — فلم يكن الجاهلى يعرف جمع التصحيح ، وجمع التكسير ، وجموع الكثرة والقلة ، ولم يكن له ذهن علمى يفرق بين هذه الأشياء ، كما فرق بينها ذهن الخليل وسيبويه ، ومثل هذا النقد لا يصدر إلا عن رجل عرف مصطلحات العلوم ، وعرف الفروق البعيدة بين دلالة الألفاظ ؛ وألم بشيء من المنطق .

(البقية فى العدد القادم) على العمارى




# الأحـــلام

مسرحية للكاتب الانجليزي ارك براول (١)

ترجمة الأستاذ علي محمد سرطاوي

أشخاص المسرحية :

إيف ( حواء ) وهي فتاة جميلة في الثامنة عشرة من العمر
الجد : وعمره فوق الثمانين
روح
طبيب
أمير
امرأة

مكان المسرحية :

( منزل الجد : غرفة مريحة كسيت جدرانها بألواح من خشب البلوط قد عبث بها الدهر . في طرفها موقد كبير يتأجج في ناره حطب جزل . ضوء الغرفة شاحب مضطرب ، يتألف معظمه من لهيب النار . هي غرفة تتراقص فيها الأشباح ويتراخى فيها هدوء عميق شامل . جلس الجد أمام الموقد ، وقد أحنت ظهره السنون ، وقد راح ينفث الدخان من غليون عاثله في القدم . ويبدو في مطلع المسرحية هادئاً لا يتحرك إلا قليلا .

وجلست إيف أمام الموقد ، منحرفة عن النار قليلا ، وقد تراقصت على وجهها ظلال اللهب ، وتدل نظرات وجهها على القلق والحيرة . وكلما امتد شوط المسرحية يبدو معنى اسمها ( حواء ) واضحاً جلياً . أما لباسها فيترك لذوق المخرج وفنه وكل مايتصل بحوادث المسرحية نفسها فإذا أخذ نصب عينيه أن يقلل من أهمية الزمن للشاهدين فقد يوفق كثيراً

وحينما ترتفع الستارة ، تقف إيف ناظرة إلى الباب . ولا داعي مطلقاً لقطع الصمت الذي تستغرق فيه . وعند ما يبتدئ الحوار يجب أن يكون هادئاً وبطيئاً )

---

الجد : فيمَ تفكرين يا بنيتي ، وماذا يدور في خلدك ؟

إيف : ( في بطء ) أفكر قليلا في أمور خطيرة ، وكثيراً في أمور تافهة !

الجد : أصحيح ما تقولين ؟ إذا لم تخنى الذاكرة ، فقد كانت أمك كذلك ، وكانت أمها مثلها .

إيف : نعم ! إننا من طينة واحدة . ما أغرب ذلك . ألا يدعو أمر من هذا النوع إلى العجب !

الجد : لا يدعو إلى الغرابة إلا السر المجهول ، وحتى ذلك لا يبدو غريباً إذا اتصل بعلم الإنسان !

إيف : ( متنهدة ) نعم يا جدي !

الجد : لماذا تتنهدين يا وردتي العابقة !

إيف : لماذا تتنهد كل امرأة ؟

الجد : حقاً ... لماذا ... ؟ لقد حيرني هذا الأمر طويلا !

إيف : آه .. ترى لو قيل لي اختاري شيئاً واحداً بمفرده من الدنيا بأسرها ، فهل كنت أستطيع ذلك ؟

الجد : لا تتعلقي بأمل واحد ، مخافة أن تمر بك آمال أخرى فلا تلتفتين إليها في سير الحياة !

إيف : لست أعرف بالضبط أملا واحداً أهفو إليه .

الجد : أكان هذا سبب تنهدك ؟

إيف : نعم ... إنه لكما تقول . بربك حدثني عن ماضيك البعيد يا جدي ؟

الجد : إنه عمر حافل ، تكاد صوره تفلت من ذاكرتي . ( يتنهد ) والذي أعرفه أنه كان طويلا جداً .

إيف : إذن في مقدرك أن تخبرني عن أثمن شيء في الدنيا ؟

الجد : إن أثمن شيء في الحياة يا بنيتي ، هو الشيء الذي لا تصل إليه يد الإنسان ، والإخفاق هو أساس التقدير . لا تتعبي خيالك المرهف بأفكار معقدة من هذا النوع .

إيف : لست أنا التي تضطرب في مهب هذه الأفكار ، ولكنها هي التي تدفعني إلى الاضطراب دفعاً عنيفاً في تيارها .

الجد : إن كل إنسان في الدنيا يتمنى أن يحصل على الصحة والثروة والسعادة .

إيف : ( متفكرة ) الصحة ... والثروة ... والسعادة .

الجد : لا أعرف إنساناً اجتمعت عنده هذه الأماني الثلاث ، وقلما أدرك أحد أمنيتين منها ؛ وإذا كان في استطاعتك الحصول على واحدة منها فإن حظك لسعيد .

(١) المؤلف : كاتب انجليزي معاصر كتب هذه المسرحية ونشرها عام ١٩٣٥ وهو في نيوزيلندا

إيف : ( فى رقة ) نعم ··· يا جدى . ( تشير فجأة إلى النار )

آه ! انظر !

الجد : ما ذا ؟

إيف : لقد تلاشى . آه .. آه .. لقد خيل إلىّ أنى أرى شبحاً صغيراً يرقص فى اللهيب .

الجد : إنك مرهفة الإحساس ، وكثيراً ما يرى صاحب هذا الإحساس أحلاماً غريبة .

إيف : وكثيراً ما أراه هناك حينما أفكر كثيراً ( بسذاجة ) لعلنى أحلم دائماً بالآمال .

الجد : ( ملاطفاً ) إن الأحلام لا تضر أحداً .

إيف : أحب أن أتمنى الثروة لأننا فقراء ···

الجد : لكن لا تنسى أن الثروة كثيرة ما تسير فى ركابها التعاسة !

إيف : إذن سأتمنى السعادة .

الجد : هل فى استطاعتك أن تكونى سعيدة بغير صحة ؟

إيف : آه . لقد فاتنى أن أتمنى الصحة التى هى أثمن شىء فى الحياة ( فى تصميم ) نعم ··· نعم سأتمنى الصحة . ولكن إذا لم أتمن الثروة فسنظل فقراء ، ولم أعرف أن الفقر حمل السعادة لنا فى الماضى ، فأريد أن أتمنى الثروة أيضاً . وما دمت ترى أن الثروة لا تجلب السعادة ، فأود أن أتمنى السعادة أيضاً . ( بحرارة )

آه .. يا أبت ··· لقد تمنيت الثلاثة مجتمعة بدلا من واحدة !

[ يداعب النعاس عينى الجد ، فيأخذ رأسه فى حركة بطيئة يميل إلى الأمام ، ويستقر على صدره ··· وترتخى يده الممسكة بالغليون فيسقط على صدره أيضاً . تخمد النار فجأة .. يمر بالغرفة تنير مفاجئ . تتراقص فجوها الأشباح ··· تحلق أيضاً فى اللهب مبهورة ··· وعلى غير توقع تسمع من ورائها ··· من الظلام صوتاً يقول : ]

الروح : ولكن ليس فى مقدورك الحصول على الثلاث معاً .

إيف : لماذا ؟ من أنت ؟

الروح : أنا روح اللهيب الذى لا يفنى ··· أنا الذى يمنح الأمانى النادرة للذين يستطيعون الاختيار .

( ترى إيف الروح الآن فى الظلام الذى يعتصم به غير جلى ··· وقد بدا كتلة من السواد لا تستطيع تبيان شكله . فى استطاعة المخرج أن يطلق لفه العنان فى الترتيب )

إيف : ( فى شىء من السرور ) يا للسماء ! لقد رأيتك ترقص فى اللهيب .

الروح : آه .. نعم . إننى أرى فى كل نار ··· فى نار الشباب ··· وفى نار الحب ··· وفى نار الطموح .. !

إيف : ولماذا أتيت إلىّ ؟

الروح : لأحضر لك هدية !

إيف : ( تدق يداً بيد ) ما أجمل ذلك . ما هى ؟

الروح : أثمن شىء فى الدنيا !

إيف : ( فى لهفة ) . لكن ما هو ذلك الشىء ؟

الروح : إن اختياره يتوقف عليك .

إيف : ( باكية ) ولكننى لا أعرف .

الروح : يجب عليك أن تختارى .

إيف : ( فى شك ) كيف فى استطاعتك إعطائى ما أختار !

الروح : أستطيع أن أعطيك شيئاً واحداً ··· أىّ شىء ··· على أن يكون من اختيار نفسك ومن غير إيحاء الآخرين .

إيف : ولكن جدى الذى تراه يغط فى نومه أمام النار يقول إن أثمن ثلاثة أشياء فى الدنيا هى الصحة والثروة والسعادة كيف أستطيع اختيار واحد منها ؟

الروح : هنالك أشياء أخرى ( عنفاً ) ولكن تذكرى أنك لا تمطين إلا شيئاً واحداً فقط .

إيف : يبدو لى الأمر أكثر صعوبة مما توقعت . علىّ أن لا أكون متهورة فى الاختيار .

الروح : ( بعد صمت ) هل اخترت ؟

إيف : واأسفاه ! لم أستطع . أليس فى إمكانك مساعدتى؟

( يتلاشى خيال الروح مبتعداً فى الظلام )

إيف : أرجوك البقاء ! لما أختر ! أريد أن أكون أكثر روية وحذراً !

الروح : أوه ! أود مساعدتك ! سأريك الصحة والثروة والسعادة . ولكن اذكرى دائماً أن هنالك أشياء أخرى غيرها فى الحياة .

إيف : كيف ؟ أيمكننى أن أرى ذلك ؟

الروح : ( فى غضب ) سأريك ذلك . لا تسأليى كيف؟

إيف : إنى لشديدة الأسف ! ( بعد صمت ) أرجو أن لا أكون قد أسأت إليك .

( لا تسمع جواباً . تفتش الغرفة . لقد اختفى )

إيف : ( مضطربة ) أرجو أن لا أكون قد أسأت إليه .

( قرع عنيف على الباب )

إيف : آه .. من الطارق ؟

( تقترب من جدها لتوقظه ، ولكنها تتوقف عن ذلك ... تتراجع إلى الباب ماشية على رؤوس أصابع رجليها . تفتح الباب . يدخل شاب جميل يبتسم )

الطبيب : عمى مساء . أرجو أن تغتفرى لى تطفلى بالمجىء إليكم فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل . لكنها زيارة لم أجد بداً منها .

إيف : هل طلب ذلك إليك أحد ؟

الطبيب : لم يطلب إلى ذلك ! الفرق طفيف ... أ كرر اعتذارى مرة ثانية ؟

إيف : آه .. لم نرسل فى طلبك أبداً ! أتريد أن تقابل جدى ؟

الطبيب : رغبة من هذا النوع لم أفكر فيها !

إيف : إذن لماذا أتيت ؟

الطبيب : أتيت لأراك !

إيف : أرجو أن توضح ذلك !

الطبيب : إننى طبيب كمعظم الأطباء ، غير أننى أختلف عنهم قليلا .

إيف : فى أى شىء تختلف عنهم !

الطبيب : إننى لا أعالج مرضى .

إيف : لا تعالج مرضى ! ألا يبدو كلامك غريباً !

الطبيب : غريباً ! لماذا يبدو لك غريباً !

إيف : ( بصراحة ) حسناً ! إذا كان ما تقوله صحيحاً فإنك طبيب غير ماهر لا يستعمل معرفته وفنه .

الطبيب : لكننى من طراز نادر من الأطباء .

إيف : إذن لماذا لا تعالج المرضى ؟

الطبيب : لا أعالجهم لأننى لا أستطيع شفاء أمراضهم !

إيف : ( فى لهجة قاسية ) فلست طبيباً أبداً !

الطبيب : ما الذى يدعوك إلى هذا الظن ؟

إيف : لأنك لا تستطيع شفاء المرضى .

الطبيب : ( فى لطف ) لا أستطيع شفاء المرضى لأننى لا أراهم ولعلك تلاحظين الآن الفرق جلياً .

إيف : بالتأكيد . هنالك فرق عظيم .

الطبيب : وإن حزناً غريباً ليتمادننى من وقت إلى آخر .

إيف : قد يكون ذلك صحيحاً .

الطبيب : لا تبصر عيناى المرضى على كثرة عددهم . لا ترى عيناى غير الصحة فى أجمل وأروع مظاهرها .

إيف : إن ذلك يبدو غريباً محيراً .

الطبيب : لقد مر ألف عام على ، لم أجد فيها مريضاً واحداً أجرب فنى فى معالجته .

إيف : ( غير مصدقة ) ألف عام ؟

الطبيب : ( متلطفاً ) هل بدا لك ذلك مخيفاً ؟

إيف : أه . ربما ... لا ... لا

الطبيب أتظنين أن ملامح وجهى تدل على عمرى

إيف : أبدا . أنك تبدو قوياً ، جميلا ، فاتناً

الطبيب : شكراً لك . إن هذه النقطة مهمة جداً

[ يتململ الجد ويسمع لاستيقاظه صوت ]

الجد : ( يعتدل فى جلسته ) لقد غلبنى الكرى على أمرى

إيف : نعم يا أبت

الجد : من هو هذا الشاب يا إيف ؟

الطبيب : عم مساء يا سيدى الشيخ الوقور

إيف : إنه طبيب يا أبت . هكذا اخبرنى

الجد : ( مرتجفاً ) طبيب ! هل نحن فى حاجة إلى طبيب ؟ أ كرر قولى هل نحن فى حاجة إلى طبيب يا إيف ؟ ( إلى الطبيب ) لماذا أتيت ؟

الطبيب : أتيت لأشاهد جمال حفيدتك الساحر الذى تحدث به الركبان فى كل مكان ذهبت إليه فى البر والبحر .

الجد : وماذا تريد ؟

الطبيب : أريد أن أطلب يدها للزواج

الجد : أتعى ما تقول ؟ إن هذا أول طلب أسمعه . هل فى استطاعتك إسعادها ؟

الطبيب : كيف تريد أن تكون سعادتها

الجد : بمتاع الدنيا

الطبيب : لا أحب متاع الدنيا وما فيها من وهم وغرور

الجد : ( بلهجة جافة ) ولكن حفيدتي تحب ذلك ما هي ثروتك؟

الطبيب : أتريد ثروة الجسد ، أو ثروة الروح ، أو ثروة المادة البراقة الخادعة ؟

الجد : لا تدر حول الحقائق . أريد المادة . وأعني الثروة

الطبيب : إنني لا أملك يا سيدي شيئاً من ذلك أبداً . إن مهنتي قد علمتني أن لا أقيم وزناً لأمور تافهة من هذا النوع . إن الجمال في حاجة إلى الصحة ، وفي مقدوري أن أمنحها ذلك ، كما في استطاعتي منحها أموراً أخرى .

إيف : ما هي الأمور الأخرى ؟

الطبيب : لا أعطي ما عندي إلا لأولئك الذين يغمرونني بالحب ورغماً عن طلبي يدها للزواج فأريد منها الحب قبل أن أمنحها أي شيء . وسوف ترى كيف يصنع الحب المعجزات ويتيل السعادة

إيف : انتهى كل شيء بيننا . لا أحب هذه الصفقة . إنني راغبة عنها . إن التوفيق ينقصها .

الطبيب : إنني أعطي الصحة ولكنني أفتش عن الحب

إيف : ( غاضبة ) اذهب إلى غير رجعة أيها الذي يطلب الحب ولايشعر به ، ولايعطي إلا الصحة ... الصحة ليس إلا ، لا أريد صحتك ... إن مرض الجسم ليس شيئاً بالقياس إلى مرض الروح إنني أرضى عن طيبة خاطر أن تهاجم الأمراض جسدي في سبيل المحافظة على هناءة روحي . إذهب ... إذهب ... إذهب .

الطبيب : ما دام الأمر قد انتهى إلى هذه النتيجة ، فمن العبث الاستمرار في الحديث . ان تتكرر هذه الفرصة التي أتيحت لك فرغبت عنها . أتمنى لك يا آنستي مساء سعيداً .

( يختفي الطبيب قبل أن يتلاشى صدى كلماته )

الجد : ( يعود إلى كلماته ) . شاب غريب الطباع . ما رأيت على شاكلته أحداً قبل اليوم .

إيف : إنه لكما تقول . ويخيل إلي الآن انني كنت متهورة . لقد كان جميلا جذاباً رائعاً . ( يتسلط النوم على الجد فينغفو مرة ثانية ) لا أستطيع أن أصدق أنه عاش ألف سنة ، ولعله لم يكن جاداً في حديثه يا أبت . كم يكون جميلا أن تكون لإنسان صحة رائعة ثم لايموت ، وأن يكون إلى جانب ذلك رائعاً فتاناً . ليتني لست في بعض حديثه معنى من معاني الحب . لقد ساومني على جسدي فاحتقرته . من يدري ! لعله يعود مرة أخرى .

( يظهر الروح مرة ثانية بين الظلال المتراقصة في الغرفة )

الروح : إنه لن يعود إليك أبداً

إيف : أهو أنت مرة أخرى ! لقد روعتني !

الروح : ألم تتوقعي حضوري ؟

إيف : لا

الروح : تقولين لا ... أن الانتظار يحمل في ثناياه معنى الشك ، ويخيل إلي أن ليس لديك شك أبداً . لعلي مصيب في رأيي !

إيف : لم أفهم معنى ما تقول

الروح : إنني أتكلم كما أعيش

إيف : بالكلام الذي لا يفهم

الروح : أليست الحياة لغزاً ؟ ألم تجديها كذلك ؟

إيف : إن جميع ما تحدثني عنه غير واضح بالنسبة إلي أليس كذلك ؟

الروح : ليس فيه شيء غامض مطلقاً

إيف : أستعيحك المقدرة !

الروح : هل احتفلت بالزائر الذي أرسلته إليك !

إيف : أأنت أرسلته ؟

الروح : نعم ألم تعرفي ذلك ؟

إيف : ربما ... لم أكن متأكدة !

الروح : وهل أجبته ؟

إيف : ( مذعورة ) ... لست ... حقيقة ...

الروح : ( بصراحة ) كما توقعت تماماً

إيف : ( بهدوء ) أبداً ... كيف عرفت ما كان يدور في خواطري !

الروح : هل كانت مهمته إذن غير موفقة

إيف : ( في حنان ) بالتأكيد ... كما تقول

الروح : إن الأشياء في حد ذاتها لا قيمة لها ، وإنما ترتفع تلك القيمة حينما تتلاقى الأضداد . إن التناقض أساس الانسجام في الحياة . إن الانسجام هو الذي يولد السعادة

إيف : لقد أحسنت التعبير . لا فض فوك !

الروح : لست فى حاجتك إلى معرفة المتناقضات ودراستها ، ليكون حكمك صحيحاً على طبائع الأشياء .

إيف : كيف ؟

الروح : (عنداً) لا تسأليني أسئلة فى هذا النوع

إيف : (بهدوء) آسفة جداً . عفواً

الروح : سأريك الثروة ، ولست أدرى كيف يكون موقفك منها ؟

إيف : ولست أدرى أيضاً

( تسمع أصوات أبواق خارج المنزل . يختفى الروح مرة ثانية . يعبق الجد مذعوراً من الأصوات )

الجد : ماذا تسمع أذناى ! يا للسماء !

( أصوات فى الخارج تردد الأمير الأمير الأمير تسمع إيف الأصوات فتسرع إلى مرآتها تصلح هندامها . ينهض الجد متثاقلا إلى الباب ويفتحه )

الأمير : (من طرف المسرح) أهذا منزل إيف ؟

الجد : إن لى حفيدة بهذا الاسم !

الأمير : (يدخل) إذن أرجو أن تحضرها أيها الشيخ . أريد أن أقول لها كلمة .

( يبدو الأمير فى ملابس حريرية مزركشة بالحجارة الكريمة النادرة قصير وضخم الجثة . يتلفت حواليه فى قلق ظاهر )

إيف : (تشير إليه) إننى إيف التى تسأل عنها .

الأمير : (يحس بشعور من الحب مفاجىء نحوها) آه . رحلة موفقة . إنها جميلة .

إيف : ماذا تريد أيها الأمير ؟

الأمير : (مرتبكا قليلا) أتيت لأحملك معى الآن !

إيف : تحملنى معك !

الأمير : نعم . فماذا تقولين ؟

الجد : لا ... إن هذا الأمر مستحيل . لقد مضى الوعد الذى تأوى فيه إلى فراشها .. قد مضى ... عليها أن ....

الأمير : (فى غضب) أغرب عن وجهى أيها الأثر القديم . داعب شعر لحيتك أمام النار .. إياك أن تنبس ببنت شفة !

( يتراجع الجد مذعوراً دون أن يقول شيئاً )

إيف : (فى غضب) كيف تجرأت على قول هذه الكلمات القاسية لجدى .

الأمير : تقولين تجرأت أيتها الشابة . ومن غير الأمير يفعل ذلك ويأمر الناس ؟

إيف : (بجرأة) أنت تعتقد ذلك .. وربما ...

الأمير : إننى أعجب بجرأتك التى تماثل جمالك البديع .

إيف : (ببساطة) الجمال ؟ أترانى جميلة فى عينك ؟

الأمير : جميلة ورائعة أكثر مما أصف ، وهذا الجمال هو الذى جذبنى إليك .

إيف : هذا شىء يحيرنى تماماً .

الأمير : لقد سمعت كثيراً عن جمالك وسحرك وجمال عينيك فأحببت أن يكون كل ذلك لى من دون الناس جميعاً .

إيف : لأية غاية تريد هذا الجمال ؟

الأمير : (بعجب) إنك حمقى عقل [illegible] هذا من حسن حظى ويمن طالعى . وهو مما يزيد فى رغبتى فيك وحبى لك وتلمسى العزاء والراحة بالقرب منك .

إيف : هل الأمير فى حاجة إلى مواساة من أحد ؟

الأمير : (فى سرور زائد) إن لها لساناً ساحراً أيضاً ومنطقاً سليماً .

إيف : وماذا تريد منى ؟

الأمير : أريد ... نفسك وحبى ذلك . (يحرك يداً قد أثقلتها الجواهر اللامعة) أنظرى . إننى أدفع ثمن ما أريد منك غالياً . من هذا الجوهر الثمين . سيكون كل ذلك لك ... ولك وحدك !

إيف : الثروة ؟

الأمير : طبعاً !

إيف : (فى هدوء) يخيل إلى أننى قد بدأت أدرك الحقائق .

الأمير : يسرنى جداً أن أساعدك على ذلك .

إيف : كيف تساعدنى ؟

الأمير : فى فهم الأمور على وجهها الصحيح .

إيف : ليبدو لى أننا نتحدث عن أمرين متناقضين ، ونرى من قوسين مختلفين .

الأمير : إن الثروة فصيحة لا تحتاج إلى لسان .

إيف : (بمرارة) إن الحياة مع أمير لا تروق لى .

الأمير : (بلطف) معذرة يا آنستى ، لم يدر بخلدى أن أجملك أميرة .

إيف : لـكن ... لـكن ظننت أنك قلت ....

الأمير : قلت إن ثروتى ستكون تحت تصرفك وهى كما ترين صفقة رابحة بالنسبة إليك وبالنسبة إلى ما ستقدمين لى من جمال وحب .

إيف : أوه ... الحب !

الأمير : لقد نسيت أن أذكر لك ذلك . أعطيك الثروة وتعطيني الحب.

إيف : أتعنى أنك تريد أن تتزوجنى ؟

الأمير : ( يفقد صبره ) كلا ، كلا . أحسب أننى قد أوضحت لك ذلك بصراحة لا غموض فيهـا . إننى أقدم لك الثروة والملابس الفاخرة والجوهرات .

إيف : وماذا تريد منى عندئذ ؟

الأمير : ( بقهقهة ) أريد منك أن تحبينى كما تفعل كل فتاة جميلة

إيف : لنتحدث الآن بصراحة مهما تكلفنا ذلك !

الأمير : إذن فقد اتضحت لك مقاصدى

إيف : تماماً بالضبط

الأمير : هل أنت راغبة فيها

إيف : كلا . بكل أسف .

الأمير : ولـكن لماذ ؟

إيف : إن الزواج يتراءى خيالا جميلا ساحراً أمام عينى

الأمير : لماذا تثرثر النساء كثيراً عن الزواج فى مناسبات من هذا النوع ؟

إيف : ألا توافقنى على ذلك ؟

الأمير : إن الزواج حيلة اخترعتها المرأة لترفع من شأن نفسها . دعينا من هذه الأمور السخيفة وامضى معى . لا أستطيع الزواج لأن زوجتى أميرة ولى محظيات غيرها

إيف : ما أقبح ذلك بك أيها الأمير

الأمير : ليس قبيحاً ما يبدو لك . إنما هى عادة اعتدتها . لقد وجدتها بعد التجربة متعبة

إيف : إذن لماذا تحدثت إلى باسم الحب

الأمير : إننى أبحث عن الحب فى كل مكان . إنه الشيء الذى لا تستطيع ثروتى الحصول عليه . جربت أن أطلبه بثروتى فى محاولات متنوعة ، ولـكننى عدت منها بخفى حنين . كثيراً ما يبدو لى هذا الأمر غريباً لأننى أدفع ثمن هذا الحب غالياً فلا أعثر عليه .

إيف : مرد ذلك الفشل إلى أنك لا تعطى من قلبك ثمن الحب ولـكن مما تملك يداك

الأمير : أخشى أن يكون ذلك مستحيلا

إيف : ( تنظر إليه ) إنك لتجده حتما لو دفعت من قلبك ثمن الحب

الأمير : إذن ما الفائدة من الثروة إذا لم تكن وسيلة للحصول على شيء فى الحياة ؟

إيف : لست أعرف من الثروة ولا من فوائدها شيئاً

الأمير : تعالى ... لتعرفى كل شيء عنها

إيف : إننى آسفة لا يمكننى أن أفعل ذلك

الأمير : ولـكن لماذا لا تريدين ؟ ( فى لهجة منكسرة ) لا بد من سبب دعاك إلى الرفض

إيف : لأنك سمين جداً وغير جميل

الأمير : ( فى مرارة ) كنت أظن أن بريق الجواهر سيذهب بنور عينيك فلا تبصرين عيوبى . وا أسفاه . إن المرء لا يستطيع أن يملك كل شيء .

إيف : ربما كان ذلك . ولـكننى لم أجد صعوبة كثيرة فى اكتشاف ما فيك من العيوب

الأمير : إذن ترفضين طلبى !

إيف : رفضاً قاطعاً

الأمير : ( فى لهجة حزينة ) هذا ما كنت أخشاه . لقد رضيت بالغاية وكرهت الوسيلة . إن الثروة هى أحبولة الشيطان للمرأة ، ولم أجد غيرك امرأة لم تقع فيها .

إيف : إن ما تقوله صعب التصديق

الأمير : لقد ولدت أحلام الحب ميتة بيننا . لقد أخفقت وانتهى كل شيء

إيف : أما أنا فلقد ربحت المركة التى كنت أحسبنى مدحورة فيها

الأمير : نعم . إن ذلك يدعو إلى التفكير

إيف : فكر ملياً فى سبب إخفاقك ، ولعل ذلك يعود

عليك بالحب الكثير

الأمير : ( متندماً ) لا أجد شيئاً يبعث الراحة إلى قلبي غير الحب الذي أضناني التفتيش عليه . لقد أخفقت فيما كان يداعب قلبي من أمان وأحلام . كم أتمنى أن أنام نوماً عميقاً في الليل ، وأترك الثروة التي لا تنيل الحب ، طائعاً مختاراً

إيف : أوه . أتجد النوم صعباً بالنسبة إليك

الأمير : إنه سوء الهضم أيتها الآنسة . إن الثروة لا تسير جنباً إلى جنب مع الصحة لقد دفعت ثمن الثروة غالياً من راحة جسدي . إنني ضعيف الإرادة .

إيف : إذا أصبحت إرادتك قوية فماذا تفعل ؟

الأمير : لعل الأمور تختلف آن ذاك . إرادة أي إنسان تقوى على الصمود أمام جمال فتاة ساحرة . إن الثروة تفتح أبواباً كثيرة ولا نعرف – إلا متأخرين – أن أبواباً أخرى لا تستطيع فتحها . لا أريد أن أعترف لك كثيراً ، ولكنني أندفع إلى ذلك تحت تأثير جمالك . أود لو أنني فقير بائس جميل الصورة فتجد السعادة بدلا من الحب .

إيف : أتحسب أن الفقر والحب لا يجتمعان ؟

الأمير : قد يكون ذلك صحيحاً أو غير صحيح . إنما مرد كل إلى طبيعة الإنسان .

إيف : ( في هدوء ) كل رأي مرده إلى طبيعة الإنسان ! والآن أرجو أن تذهب ، فإن بقاءك حتى الآن إلى جانبي لما يؤلم جدي إذا استيقظ .

الأمير : ( بدون احتشام ) ألا تعاودين النظر في أمري !

إيف : أبداً . أبداً ... جد آسفة . لن أرغب فيك مطلقاً .

الأمير : ( متندماً ) إنني لا أحسن الهجوم . وهذا ذنبي ( مبتهجاً ) لكن الجواهر لا تزال معي . ما أقبح الحياة إذا لم يجد المرء فيها ما ينسيه الإخفاق في حب امرأة . ( صوت أبواق من الخارج ) استمعي ! إن رجال حاشيتي قد قلقوا لتأخري . الوداع أيتها العذراء الطاهرة . أذكريني ... لا تجعلي ذكرياتي في نفسك مرتبطة بما تكرهين واذكري ... إنني قدمت إليك أحسن ما عندي . ( يخرج ) .

إيف : ما أثقل ظل هذا المخلوق القمىء !

الروح : ( يظهر ) لقد بدا لي أنك لم تحتفلي به أبداً .

إيف : أبداً .. أبداً .

الروح : ألا يدعو ذلك إلى الأسف ؟ لقد كان لديه الشيء الكثير من الذي يتهالك الناس عليه في الحياة وكان راغباً في تقديمه إليك .

إيف : لقد تعلمت من ذلك أيضاً أن لدي ثروة نادرة أغلى من الدر والجوهر والذهب يطلبها الناس .

الروح : نعم . نعم . صدقت .

إيف : وعلي أن أكون حريصة على هذه الكنوز فلا أمنحها من لا يستحقها .

الروح : صحيح مرة أخرى . لكن الذي أريد معرفته : ما هو اعتراضك على صديق الأمير ؟

إيف : إنني لأحس في قرارة نفسي بالأسف على خيبته ، وإنه إحساس يملأ نفسي بالزهو أن أشعر بالأسف على فشل أمير لقد وجدته قد فقد الإدراك الصحيح لموازين الأشياء ومقياس الحقائق .

الروح : أما صديق الزائر الأول ، أفلم يفقد إحساسه بالزمن ! ألا بربك خبريني : أيهما وجدت أكثر أهمية أإدراك الزمن ، أم إدراك حقائق الأشياء ؟

إيف : إنك تسأل أسئلة محيرة أيها الروح !

الروح : إن الأسئلة المحيرة تغلب على أجوبتها الطرافة .

إيف : اسمح لي أن أقول لك إنني تعلمت كثيراً من صديقك وكثيراً جداً .

الروح : وماذا تعلمت أيتها الآنسة ؟

إيف : تعلمت أن الصحة لا تقيم وزناً للثروة ، وأن الثروة كثيراً ما تطلب الصحة .

الروح : يا للأسف ! هل اكتشفت ذلك ؟

إيف : ذلك ما تأثرت به على الأقل . وخيل إلي أنهما يفتشان عن السعادة . وقد يكون مبهجاً — إن لم يكن مغرياً — أن يعرف المرء ما هي السعادة . ( تضم يديها ) السعادة ! ترى أتكون السعادة أثمن ما في الدنيا ؟ لست أدري

الروح : أراك تتعجبين ؟ إن كثيراً من الناس على شاكلتك

إيف : أتستطيع أن تريني السعادة يا صديقي ؟

( يختفي الروح . تتلفت إيف حولها تسير إلى الموقد وهي تفكر تفكيراً عميقاً ، يفتح الباب ، تدخل امرأة قصيرة الجسم يبدو على محياها الشحوب والإعياء )

إيف : ( مذعورة ) آه . لا شك أن هنالك خطأ ..! ماذا تريدين أيتها السيدة ؟

المرأة : ( في لهجة حزينة ) أسفاً يا بنيتي ! ألا تعرفينني ؟

إيف : ( تهز رأسها ) لا

المرأة : ( في حنان ) إنني أمك

إيف : أمي ؟ أمي ! لقد ماتت أمي !

المرأة : ألا تتذكرين تلك الأم ؟

إيف : لقد ماتت منذ زمن بعيد ، ومحا الزمن صورتها من خيالي .

المرأة : لقد مات جسدها ، أما روحها فلم تمت . إنها الشيء الذي لا يموت .

إيف : ولماذا رجعت من العالم الآخر ؟

المرأة : لا تقولي هذه الكلمة فما بارحتك أبداً

إيف : وما هي غايتك من هذه الزيارة الآن ؟

المرأة : أتيت لأحملك معي . لقد بلغ جدك من الكبر عتياً، ولسوف يسير جسده في الطريق التي تسير فيه الأجساد إلى نهايتها . سنذهب معاً وهناك تعتادين على حبي، وستجد السعادة معاً

إيف : ولماذا غبت عني طويلا !

المرأة : لم أعرف أن الفراق كان طويلا إلا الآن .

إيف : أمي ! أرى حديثك غريباً . ماذا تريدين مني !

المرأة : أريد حبك ولا شيء آخر .

إيف : وماذا تعطيني إذا أنا منحتك هذا الحب ؟

المرأة : حنان الأم وحبها العميق . لا شيء ، غير ما لك في قلبي من حنين ، وما لي في قلبك من لهفة وشوق . لك مني الاطمئنان والسكينة والسعادة .

إيف : كيف أسعد الآخرين وأنا لا أجد الطريق إلى السعادة

المرأة : السعادة بين يديك إذا كان في مقدورك أن تحملي بين جوانحك حب الفتاة لأمها .

إيف : لقد سمعت الناس يتحدثون كثيراً عن الحب ؛ إنهم دائماً يطلبون ولا يعطون .

المرأة : أما بالنسبة إلى فإنك ستأخذين وتعطين . هذا هو السر . إن البساطة هي الطريق المعبد إلى السعادة .

إيف : إن البساطة مفتاح القناعة . لكن أين السعادة الحقيقية من ذلك . هل هنالك شيء يطلق عليه هذا الاسم ؟ هل السعادة حديث خرافة يا أم عمرو ؟ يخيل إلي أنها شيء معقد جبار يتألف من ألف فكرة ، ومن ألف عاطفة ، ومن ألف زفرة ، ومن ألف عذاب . إنها ليست شيئاً واحداً إنني لن أجد السعادة الحقة معك

المرأة : ولماذا لا تجدينها معي أيتها الابنة الفيلسوفة !

إيف : لأن ليس في استطاعة الإنسان أن يتذوق السعادة الخالصة إلا إذا شرب كؤوساً مترعة بالشقاء من يد الزمن . إن السعادة شيء بعيد جداً عن مجرد القناعة ، والسكون إلى حقائق الواقع المريرة . ليس في استطاعتنا الحكم على حقائق الأشياء دون الغوص إلى أعماقها .

المرأة : إن هذه الأفكار القوية لا تدور بخلد فتاة في عمرك

إيف : ( ببساطة ) أصحيح ما تقولين ؟

المرأة : بعد أن يتعبك السير في الطريق الذي سترسمه لك الحياة ، وبعد أن تبدد اليقظة أحلامك الجميلة ؛ وبعد أن يتحطم الطموح فيك على صخرة الفشل — تعالي إلي — فستجدينني في انتظارك

إيف : أتحسبين أنني آن ذاك في حاجة إليك . ومع ذلك فإن السعادة هي الحلم الجميل الذي لا يستحيل إلى حقيقة ملموسة. ويبدو لي أنني سأحلم كثيراً ؛ وأتألم كثيراً ؛ وأعطي شيئاً ليس بالقليل من عواطفي .

المرأة : سأنتظرك . سوف تمر بك ساعة تدركين فيها أن السعادة لا تتعلق بزمان ومكان . إنما هي سعادة الروح

إيف : ألا تحبين الصحة والثروة ؛ ما رأيك فيهما ؟

المرأة : أية قيمة للصحة حينما يموت الجسد ؟ وما نفع الثروة إذا لم يستطع الإنسان استعمالها . وماذا يبقى بعد ذلك غير السعادة؟

إيف : نعم إنك على حق . ولكن هل هنالك أمور أخرى في الحياة ؟

المرأة : ( فى لهفة ) الأمر المهم بالنسبة إلى ذهابك معى

إيف : ( تهز رأسها ) كلا . لن أذهب معك ! أن العجز والهزيمة من الحياة أمر سهل جداً . أريد أن أحل ألغاز الحياة بنفسى . لن تهزمنى الحياة أبداً . سأصعد لروابيها

المرأة : سأكون فى انتظارك اذكرى ذلك جيداً .

إيف : سوف أذكر ذلك

( تقف إيف مفكرة وعالقة فى النار ، بينما تعود المرأة أدراجها من حيث أتت وتختفى )

إيف : هلم إلىّ يا صديقى ! إلىّ يا مانح الهبات ! ساعدنى !

الروح : ( يظهر ) لبيك ! لقد حان الوقت . هل اخترت !

إيف : وا آسفاه ! لم أستطع ، لأننى لا أريد الصحة ولا الثروة ولا السعادة . لا أريد هذه فى حد ذاتها بعيدة عن المعانى الإنسانية

الروح : يخيل إلى أنك لم تتوقعى رؤيتها على الشكل الذى بدت لك فيه .

إيف : نعم

الروح : لا تنسى أن هنالك أشياء أخرى فى استطاعتك اختيار منحة منها

إيف : نعم هنالك أشياء أخرى . أنك على صواب !

الروح : ( فى سأم ) إنما عليك أن تختارى واحدة منها

إيف : لقد لاحظت أن الأشياء الثلاثة التى عرضتها على ، كان كل واحد منها يزعم أن فى مقدوره إعطائى كل ما أريده ، ومع أن كل واحد منها كان يمنح شيئاً يختلف عن الآخر ، إلا أنها جميعاً كانت تطالب منى ثمن ذلك

الروح : وما هو ذلك الثمن ؟

إيف : أنه الحب . أنها جميعاً كانت تفتش عن الحب فيخيل إلى أن الحب أثمن شىء فى الوجود .

الروح : إننى لا أستطيع تقرير ذلك .

إيف : لقد ظاهر لى ذلك واضحاً جلياً لا غموض فيه

الروح : إذن هل تختارين الحب كأغلى منحة !

إيف : كلا . لن أختار الحب . لأنه إذا كان من جانب واحد لم يكن حباً ، وإنما هو خداع الطبيعة لاستدامة النوع ومد جذوره إلى المستقبل فى وجه مستمر من شهوة الجسد . ليس الحب إلا امتزاج روحين ، وتقارب قلبين وفناء جسدين فى هدف لا يدرك . إننى لن أطالب الحب . ينبغى أن يأخذ الحب طريقه إلى القلوب بعيداً عن الأرادة والتوجيه . أن الحب الصحيح لا يطلب ، ولكنه كالجوهر النفيس تكتشفه القلوب فى مسارب الحياة

الروح : إذن أى شىء تختارين

إيف : إذا كان لابد من الاختيار فأختار العقل . أنه ينجدنى فى الشدة ؛ فاختار اختياراً صائباً ، وأعيش حياة متزنة ، وأحب حباً صحيحاً . نعم سأختار العقل

الروح : ( مقهقها ) ها ... ها ... لا يختار العقل إلا إنسان مدرك عاقل . وأنت باختيارك لم تطالبى شيئاً جديداً . لقد طلبت ما هو لديك . أهذا كل ما تطلبين ؟ ( يقهقه بصوت مسموع ) إنك يا آنستى العزيزة فى غير ما حاجة إلى من يقدمه إليك ! ... ها .. ها .. ها .. ها ....

( يتلاشى الروح )

إيف : ( مفكرة ) إننى لا أشك فى سلامة عقلى

( ترجع إيف إلى وضعها الأول ، جالسة أمام الموقد ، محدقة فى اللهب ، تتلاشى الخيالات تدريجياً ويتوهج لهيب النار ، وبعد فترة تترك عينيها ، بينما يأخذ غطيط الجد يخفت ، ثم يفتح عينيه )



الجد : لقد غلبنى الكرى على أمرى

إيف : لقد أغفيت طويلاً يا أبت

الجد : ماذا كنت تصنعين أثناء نومى يا إيف ؟

إيف : كنت أفكر

الجد : تفكرين ! هل أمضيت كل ذلك الوقت فى التفكير؟

إيف : نعم يا أبت

الجد : لا أحسب أنك فعلت ذلك ! ربما يخيل إليك أنك كنت تفكرين !

إيف : إننى واثقة من ذلك وثوقك بأنك كنت نائماً

الجد : إنك تفكرين كثيراً يا بنيتى ؛ بماذا كنت تفكرين !

إيف : أفكر قليلا فى أمور هامة ، وكثيراً فى أشياء لا أهمية لها ! أليس كذلك يا أبت !

الجد : إن أساليب النساء تعجز الفهم ، هلمى إلى فراشك

إيف : ( تنهض ) سمعاً وطاعة يا أبت وشكراً

( أصوات ضحك تنبث من بعيد )

( يهبط الستار )

( السيب ) **علي محمد سرطاوى**

مطبعة الرسالة